

عرب 48 وأدباؤهم الذين يكتبون بالعبرية أنطون شماس وسيد قشوع ومساهمتهما في الأدب العبري المعاصر

محمود سند العمرات، يحيى محسن مطالقة*

ملخص

تتوزع الأعمال الأدبية التي تصدر في "إسرائيل" على مجموعة كبيرة من الكتاب الإسرائيليين من أجيال، ومرجعيات ثقافية وجغرافية وأيديولوجية مختلفة إلى حد التناقض. وتقدم أعمال هؤلاء الأدباء رؤية يُمكن من خلالها قراءة المشهد الإسرائيلي بتفاصيله الصغيرة التي رآها الكتاب وتركت عليهم أثراً مما دفعهم إلى كتابتها نصوصاً أدبية. وهناك أدباء عرب من الفلسطينيين الذين بقوا في وطنهم خلال نكبة عام 1948م، وأصبحوا بعد قيام "إسرائيل" مواطنين فيها، لكنهم تمسكوا بانتمائهم الوطني والقومي. وقد مكنتهم الظروف التي عاشوها تحت وطأة الاحتلال الصهيوني من دراسة اللغة العبرية وإتقانها، والاطلاع على مناهل التراث اليهودي، ودفعت البعض من أدبائهم وشعرائهم، إلى كتابة أعمالهم الأدبية بالعبرية، وخاطبوا اليهود بلغتهم، في محاولة منهم للتعبير عما يعانيه عرب 48، وشعورهم بالغربة والهوية الممزقة. وقد جاءت هذه الدراسة للتعريف بعرب 48، وبواقعهم الثقافي واللغوي، وكذلك محاولة الإجابة عن بعض الأسئلة، أهمها: ما هي الأسباب التي دفعت هؤلاء الأدباء للكتابة بالعبرية؟ ومن هم أبرز أولئك الأدباء؟ وما هي أبرز الأعمال التي كتبوها بالعبرية؟ وكذلك مدى قبول هذه الأعمال سواء من قبل الإسرائيليين أو العرب. كما عرضت الدراسة لاثنتين من أهم هؤلاء الأدباء وهما: أنطون شماس وسيد قشوع، وذلك من خلال إلقاء الضوء على سيرتهما الذاتية وأعمالهما الأدبية.

الكلمات الدالة: الأدب العبري المعاصر، عرب 48، أدباء، شماس، قشوع.

المقدمة

تشكّلت خلال القرن الأخير لغة عبرية ذات نمط جديد وازدهرت: لغة استمدت عناصرها ومكوناتها من التوراة ومن المشناه ومن مصادر الثقافة العبرية الوسيطة والقديمة، بالإضافة إلى تجديد هذه اللغة وتطويرها من قبل القائمين على مشروع إحياء اللغة العبرية وعلى رأسهم "أليعيزر بن يهودا"، الذي يوصف بأنه "أبو اللغة العبرية الحديثة". وقد استطاعت هذه اللغة تطوير مستويات أسلوبية كتابية وكلامية عديدة، جعلتها قادرة على إنتاج أدب عبري غني مركّب، أدب لاقى نجاحات داخلية وخارجية كثيرة، وترجمت آثاره إلى عشرات اللغات، وحصل أحد كتّابه، وهو "شموئيل يوسف عجنون" (שמעון יוסף עגנון)، على جائزة نوبل للأدب سنة 1966م. وقد ساهم في كتابة هذا الأدب أدباء يهود ممن هاجروا إلى فلسطين سواء قبل قيام "دولة إسرائيل" أو بعده⁽¹⁾، وكذلك أدباء يهود عرب هاجروا من بلدان عربية، من بينهم: أمنون شاموش (אמנון שמושי)⁽²⁾، وشمعون

بالاس (שמעון בלס)⁽³⁾ وسامي ميخائيل⁽⁴⁾ (סמי מיכאל) وغيرهم، بالإضافة إلى أدباء عرب فلسطينيين ممن أجبرتهم ظروفهم الحياتية داخل "إسرائيل" على تعلّم اللغة العبرية لبيدعوا، بعد ذلك، أدباً بهذه اللغة، ومن بينهم أنطون شماس، ونعيم عرايدي، وسيد قشوع وغيرهم.

تكوّن المجتمع الإسرائيلي منذ نشأته من خليط من جماعات مهاجرة من مختلف البلدان، جاءت كل جماعة بمكوّنات مختلفة عن الأخرى، من حيث الأصول العرقية، واللغوية، والثقافية وغيرها من الأنماط الحياتية المعتادة من عادات، وتقاليده وسلوكيات (هيكل، 2007: 5). وتكوّن داخل هذا المجتمع نسيج اجتماعي غير متجانس شمل اليهود "الإشكناز"، واليهود "السفاراد"، بالإضافة إلى الأقليات الأخرى مثل البدو والعرب الدروز والعرب (المسلمون والمسيحيون) أصحاب الأرض المغتصبة الذين اضطرتهم الظروف إلى البقاء داخل هذا الكيان الناشئ ليصبحوا فيما بعد من مواطنيه.

وقد حظيت إشكالية التوتر الطائفي أو انعكاس ما يُسمّى بالهوية الطائفية داخل المجتمع الإسرائيلي منذ نشوئه، خاصة بين قُطبي هذا المجتمع: "اليهود السفاراد" و"اليهود الإشكناز"، على الأدب العبري الحديث، باهتمام غدد من الباحثين العرب المتخصصين في الدراسات العبرية، حيث صدرت في هذا

* قسم اللغات السامية والشرقية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن؛ ووكالة الأنباء الأردنية (بترا)، الأردن. تاريخ استلام البحث 2015/8/25، وتاريخ قبوله 2015/9/17.

وثيقاً باللغة العربية وبالتقافة العربية، وهذا ما عبّرت عنه سيجال جورجي، المحاضرة في قسم اللغة العربية بجامعة بن غوريون في النقب، حيث قالت: "يُمكن القول إنّ اللغة العربية هي جزء لا يتجزأ من هوية اليهود المهاجرين من الدول العربية ووعيهم الثقافي" (جورجي، 2013: 102).

ويُمكن القول إنّهُ حتى قُبِلَ قيام "إسرائيل"، خلال فترة الاستيطان أو ما يُعرف بال "يشوف"، كان هناك في عالم الأدب العبري أدباء جذورهم الثقافية عربية، بينهم يهودا بورلا (יהודה בורלא) ومردخاي طيب (מרדכי טייב)⁽⁶⁾ وغيرهما، لكن لم يرَ أيّ من هؤلاء الأدباء نفسه في وقت من الأوقات أدبياً عربياً.

ومع قيام "الدولة" عام 1948م، بدأت تتراعى إلى الأسماع بعض الأصوات الأدبية الإسرائيلية ذات الأصول اليهودية العربية، لكنها كانت أصواتاً ضعيفة لم تتل حظّها من الاهتمام والرعاية. لكن مع بداية ستينيات القرن العشرين وحتى منتصف السبعينيات من القرن نفسه، بدأت هذه الأصوات بالظهور بقوة على ساحة الأدب الإسرائيلي، وبدأ أدباء الطوائف اليهودية "السفاردية"، وبصفة خاصة مهاجرو البلدان العربية، يطرقون أبواب مختلف الألوان الأدبية في محاولة منهم للتعبير عن تجارب الاستيعاب والمعاونة داخل المجتمع الإسرائيلي ذي الطابع "الاشكنازي" الأوروبي. وكان أدبهم بمثابة أدب احتجاج اجتماعي (هيكل، 2007: 8)، وتُجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذه الأعمال قد تمّ تجاهلها، لأنّها أبرزت نقاط الضعف داخل الكيان الإسرائيلي وأثبتت زُفّ إدعاءات ما يُطلق عليه "المثل العليا الصهيونية" التي قام عليها المجتمع الإسرائيلي.

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد أنّ بعض هؤلاء الأدباء، وعلى رأسهم سامي ميخائيل وشمعون بالاس، توقّفوا عن الكتابة بالعربية⁽⁷⁾ بعد وصولهم إلى فلسطين بعشرة أعوام، لكنهم لم يبتعدوا عن الأدب العربي حتى بعد انتقالهم للكتابة بالعبرية، ففي ثمانينيات القرن العشرين ترجم سامي ميخائيل ثلاثية نجيب محفوظ إلى العبرية، كذلك قام شمعون بالاس، لفترة طويلة، بتدريس اللغة العربية والأدب العربي في جامعة حيفا، ونشر دراسات كثيرة تُعنى بالأدب العربي المعاصر. وقد تناول الأدباء اليهود الذين يكتبون بالعربية مواضيع مختلفة كلياً عن تلك التي تناولها الأدباء الفلسطينيون؛ فقد ركّزوا في أعمالهم الأدبية على واقع المعاونة التي تُعرّض لها اليهود الشرقيون في "إسرائيل" والإحباط الاجتماعي ومشاعر الظلم وأشكال التفرقة العنصرية التي لاقوها منذ هجرتهم إلى فلسطين منذ مرحلة "المعبرة" فصاعداً (هيكل، 2007: 10)، في حين تناول الأدباء الفلسطينيون مواضيع النكبة ومعاونة الشعب الفلسطيني بعد تهجيرهم من وطنه والمجازر التي أرتكبت بحقه وأزمة الهوية بعد

الصّدّد العديد من الدراسات والرسائل الجامعية والأبحاث الأكاديمية والكتب المتخصصة. في مقابل ذلك، فإنّ الدراسات التي تناولت عرب 48 وأعمالهم الأدبية التي كُتبت بالعبرية والواقع الحياتي والمعاونة التي يعانونها داخل المجتمع الإسرائيلي كانت قليلة بعض الشيء وهامشية، رغم الحضور الواضح والتواجد المؤثر لعرب 48 في مسرح الأحداث السياسية والثقافية الإسرائيلية.

ولعل أحد الجوانب المهمة المميّزة لعرب 48 في الجانب الثقافي الإسرائيلي هو ولوج عدد من أدباء عرب 48 مجال الأدب العبري، حيث كُتِبَ عدد من هؤلاء الأدباء إبداعاتهم الأدبية باللغة العبرية، وقام آخرون بترجمة العديد من الأعمال الأدبية العربية التي كُتبت أدباء من عرب 48 إلى العبرية. والجدير بالذكر أنّ المؤسسات الأدبية الإسرائيلية قد عمّدت، في الغالب، إلى إتباع سياسة التجاهل والإهمال تجاه هؤلاء الأدباء العرب، رغم أهمية الأعمال التي ترجموها إلى العبرية أو كتبوها بالعبرية. من هنا فقد جاء اختيار هذه الدراسة لتسليط الضوء على الواقع الأدبي لعرب 48، وأبرز الأدباء الفلسطينيين الذين كُتِبوا أعمالهم الأدبية باللغة العبرية، والأسباب التي دفعتهُم لاتخاذ العبرية لغة لإبداعاتهم الأدبية، ومدى النجاح الذي حقّقته تلك الأعمال ومدى قبولها بين القراء والنقاد، سواء في الأوساط الثقافية العربية أو الإسرائيلية. ونظراً للمكانة المرموقة التي احتلّها كلّ من الشاعر والكاتب والمترجم أنطون شماس، والصحفي والأديب سيد قشوع داخل "إسرائيل" وخارجها، فقد ركّزت هذه الدراسة على نتاجاتهما الأدبية.

أدباء يهود عرب... بين العربية والعبرية:

قُبِلَ البدء بالحديث عن الأدباء الفلسطينيين الذين اتّخذوا من العبرية لغة لكتاباتهم الأدبية، لا بدّ من الإشارة إلى أنّ هناك العديد من الأدباء اليهود البارزين، الذين ينشطون اليوم على خارطة الأدب العبري الإسرائيلي، ممّن بدّوا كتابتهم الأدبية باللغة العربية وانتقلوا، فيما بعد، للكتابة بالعبرية، ومن بين أهم هؤلاء الأدباء سامي ميخائيل وشمعون بالاس، كما أنّ هناك أدباء لم يكتبوا بالعبرية نهائياً، لكنّ الثقافة العربية واللغة العربية قائمة في أساس تعليمهم وتربيتهم، ومن بينهم إيلي عامير وأمنون شاموش وغيرهما. وقد وصلت غالبية هؤلاء الأدباء إلى فلسطين من بلدان عربية خلال السنوات الأولى لقيام "دولة إسرائيل"، وخصوصاً خلال فترة الهجرة الكبيرة⁽⁵⁾ من العراق بين عامي 1948م و1951م، التي جلبت إلى فلسطين آلاف الشباب الذين كانوا على معرفة قويّة بالعربية وأدبها، وقد رأى العديد من اليهود الذين هاجروا من الدول العربية أنفسهم مرتبطين ارتباطاً

حصولهم على الجنسية الإسرائيلية.

عرب 48 وأدباؤهم الذين كَتَبُوا أدبهم بالعبرية:

أولاً: أصل تسمية "عرب 48" وواقعهم في "إسرائيل":

"عرب 48" - وثمة تسميات أخرى لهم مثل: "عرب الداخل"، أو "فلسطيني 48"، أو "العرب داخل الخط الأخضر" - وهم العرب الذين بقوا في فلسطين بعد نكبة عام 1948م، وباتوا بحكم الهوية: أقلية عربية، وبحكم المواطنة: إسرائيليين، يحملون الجنسية الإسرائيلية، لكنهم يحافظون على هويتهم الفلسطينية وتطلعاتهم وانتماءاتهم القومية والوطنية. وقد رفضت السلطات الإسرائيلية اعتبارهم أقلية قومية، بل أطلقت عليهم تسميات عنصرية نحو "عرب إسرائيل"، أو "الطوائف غير اليهودية"، أو "العرب والدروز"، أو "الأقليات الدينية في إسرائيل"، وجميعها تسميات تعكس رغبة الكيان الصهيوني في محو شخصيتهم القومية المستقلة، وطمس هويتهم ومحاولة دمجهم في المجتمع الإسرائيلي (حسن، 1998: 23)، وهم، مع إخوانهم في الضفة الغربية وقطاع غزة ومع من طرد منهم خارج حدود الوطن، أحفاد العرب الساميين الذين شيّدوا حضارة زاهية على الساحل الشرقي لحوض البحر الأبيض المتوسط منذ الألفية الثانية قبل الميلاد. وقد تواصلت ملكيتهم لأراضي فلسطين التاريخية دون انقطاع في العصر الحديث، حيث كانت فلسطين جزءاً من البلاد العربية التي خضعت، في معظمها، للإمبراطورية العثمانية حتى عام 1917م، عندما فرض الاحتلال البريطاني عليها من أجل تنفيذ المؤامرة الصهيونية لخلق "وطن قومي" لليهود فيها طبقاً لما جاء في وعد بلفور. وقد بلغ عدد سكان فلسطين عندما خضعت البلاد للاحتلال البريطاني (700) ألف نسمة، منهم (644) ألف عربي بنسبة (92%) و(56) ألف يهودي بنسبة (8%) (رمزي، 2002: 11).

بعد قيام "إسرائيل" في عام 1948م لم يبق في فلسطين من العرب سوى (170) ألف مواطن، أي حوالي (13.8%) من عدد سكان "إسرائيل" المختلفة، وأصبح الفلسطينيون، الذين كانوا يمثلون أغلبية السكان في وطنهم، غرباء فيه، مُحَرَّمًا عليهم الاتصال بإخوانهم خارج الحدود، يحملون الجنسية الإسرائيلية (رمزي، 2002: 11)، ولكنهم، كما أسلفنا، يحافظون على هويتهم الفلسطينية وتطلعاتهم وانتماءاتهم القومية والوطنية.

إنّ عرب 48 مُمَرَّقون بين الولاء إلى "إسرائيل"، والولاء إلى الشعب الفلسطيني والعربي؛ ففي دراسة أجريت عام 1990م على عينة من عرب 48 حول مستقبلهم السياسي، أظهرت النتائج أنّ (46%) من أفراد العينة يُفضّلون الاحتفاظ بجنسيتهم الإسرائيلية، لكنهم يُصرون، في الوقت نفسه، على اكتساب الحقوق المتساوية

مع اليهود، وتطوير أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية داخل "إسرائيل". ويرى البعض أنّ بقاءهم في أرضهم بمثابة واجب قومي، وكذلك مقاومة لسياسة التمييز والتميز التي تمارسها "إسرائيل". وأشار (8%) من أفراد العينة إلى إمكانية الانضمام للدولة الفلسطينية، بينما ذكر (12,5%) منهم أنّ موقفهم من الانضمام لهذه الدولة الفلسطينية يتوقف على طبيعة نظامها السياسي وبرنامجها بخصوص القضية الفلسطينية، وفي المقابل أكد (23%) أنهم يُفضلون العيش في "دولة إسرائيل" ثنائية القومية. وخلاصة القول أنّ النسبة الأكبر من عرب 48 في "إسرائيل" تُفضّل رؤية الدولة الفلسطينية وقد قامت على الخريطة في الضفة الغربية وقطاع غزة، في حين تعتبر نسبة ضئيلة منهم أنّ هذا حل مُقنّع لمشكلتهم (الأزعر، 1992: 111). ولا شكّ في أنّ الفشل أو، على الأقل، عدم القدرة على دمج العرب في حياة المجتمع الأوسع يجعل "إسرائيل" بلداً بثقافتين رئيسيتين تعيشان جنباً إلى جنب، ولكن بدون تلك الأشكال من أواصر المحبة الدائمة التي تُعزّز علاقة السكان بالدولة. ولا يكمن عنصر التناقض في "إسرائيل" في التقريب بين المثاليات والحقائق بقدر ما يكمن في المثاليات نفسها. فالعربي الإسرائيلي مضطر للتحرك بين ثلاثة مجتمعات يكاد يرى حدودها المرسومة: المجتمع العربي داخل حدود "إسرائيل" بما يعانيه من صراع من أجل المحافظة على الهوية العربية الفلسطينية ومحاولات أسرلة هذا المجتمع؛ والمجتمع الإسرائيلي اليهودي الذي هو مضطر للتعامل معه كونه مواطناً في هذه الدولة، بغض النظر عن الدرجة؛ والمجتمع الفلسطيني العربي في الضفة الغربية وقطاع غزة الذي يخوض معركته للتخلص من براثن الاحتلال.

وقد أسهب الباحثون في الحديث عن الأشكال المختلفة من التمييز العنصري الإسرائيلي ضدّ العرب، ويُمكن القول بإيجاز إنّ الأمثلة الرئيسة لهذا التمييز على المستوى الرسمي قد تناولت السكن، وذلك بإجبار العرب على السكن في أماكن معيّنة وفي أحوال سكنية سيئة، والتفرقة ضدّهم في الخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية (جريس، 1975: 23)، وحرمانهم من كثير من الحقوق المدنية، لا سيّما فيما يتعلّق بحرية الحركة والتعبير عن الرأي، والتمييز ضدّهم من حيث الجنسية والعمل وحصر استخدامهم في ميادين الأعمال غير الماهرة والقليلة الأجر (عبد السلام، 1988: 115).

وإذا كان اليهود "السفارديم" يمثلون "إسرائيل أخرى" من منظور اليهود "الأشكنازيم"، فإنّ "عرب 48" كقطاع سكاني داخل "إسرائيل" يمثلون الإسرائيلي الآخر غير اليهودي الذي فرض وجوده على المجتمع الإسرائيلي ببقائه وعدم هجرته، وأيضاً بقبوله القسري للجنسية الإسرائيلية، فأصبح يمثل مأزقاً حقيقياً

"إسرائيل" مهدّد للشخصية الإسرائيلية وهي في مرحلة التكوين. فالعربي الفلسطيني داخل المجتمع الإسرائيلي رمز للوطن المسلوب، ورمز للعدو الأصلي صاحب الأرض والمشارك فيها الآن بوجوده رغم القيود الموضوعة على حرّكته داخل الأرض (حسن، 1998: 44 - 45).

ويرى اليمين الإسرائيلي في عرب 48 أنهم بمثابة "الشوكة في الحلق"، وقد اقترحوا مرات عديدة تهجيرهم وطردهم من "إسرائيل" من خلال ضمّ مناطق المثلث والنقب إلى فلسطين (ליבנה، 2004). وفي عام 1948م تمّ ترحيل أكثر من (800) ألف فلسطيني عن أراضيهم من خلال أكثر من ثلاثين مجزرة موثقة، وتدمير (530) قرية فلسطينية، ممّا تسبب بمشكلة اللاجئين الفلسطينيين الذين ما زالوا يحتفظون بمفاتيح بيوتهم القديمة ويتمسكون بحق العودة (جبريل، نزال؛ والصباغ، 1991: 75)، ويأمل عرب 48، الذين كانوا في يوم من الأيام أغلبية وأصبحوا الآن أقلية أن يأتي اليوم الذي تنقلب فيه الحال مرة أخرى ويصبحوا أغلبية مطلقة في "إسرائيل".

ثانياً: الواقع الثقافي واللغوي لعرب 48

يختلف المواطنون العرب، الذين يعيشون في "إسرائيل"، عن باقي العرب في البلدان العربية، من حيث الاستعمال اللغوي. ففي الأقطار العربية يتأثر المتحدثون بالإنجليزية والفرنسية (خاصةً في لبنان ودول المغرب العربي - ما عدا ليبيا)، أمّا في "إسرائيل" فيضاف إلى مخزون العرب اللغوي، الاستعمال الواسع للغة العبرية، التي فرض عليهم معرفتها لغة وثقافة لموافاة ضرورتهم الحياتية، وقد أشار عبد الرحمن مرعي (2013: 40)، أستاذ الأدب العبري في الكلية الأكاديمية "بيت بيرل"، إلى أنّه "بالرغم من المكانة الرفيعة التي حظيت بها العربية في نفوس الناس... فإننا نجد أنّ العبرية أصبحت جزءاً لا يتجزأ من المخزون اللغوي للمواطن العربي-الفلسطيني في الداخل، ولا يستطيع الاستغناء عنها، كوسيلة لتصريف شؤونه اليومية في الدولة".

وقد تميّزت المرحلة التي جاءت بعد نكسة حزيران 1967م وامتدت حتى انهيار المقاومة الفلسطينية في بيروت سنة 1982م باحتدام الصراع لدى مجتمع عرب 48 داخل "إسرائيل" بين الرغبة في الاندماج في المجتمع الإسرائيلي، والرغبة في تعزيز الانتماء الوطني والقومي. وقد أشار الباحث الفلسطيني محمود كيال في دراسة له (كيال، 2010: 175) إلى أنّ الرخاء الاقتصادي وخيبة الأمل من الهزائم والانكسارات المتتالية على المستويين القومي والوطني قوّيا نزعة الاندماج، في حين أنّ تجديد العلاقات المنقطعة مع العالم العربي وباقي قطاعات

للهوية الإسرائيلية. وهو من ناحية الشخصية الإسرائيلية لا علاقة له بها من قريب أو بعيد. فالجنسية بالنسبة لعرب 48 لا تعني المشاركة في تكوين الشخصية إلا بالأسلوب العكسي أو السلبي. فالعربي الفلسطيني يُمثل الآخر في منظور الشخصية الإسرائيلية. وإسرائيليتّه لا تعني الاشتراك في الشعور بالمواطنة أو الأخذ بالانتماء الوطني لـ"إسرائيل"، والحقيقة أنّ الانتماء بالنسبة لعرب 48 هو انتماء إلى الأرض حتى لو كانوا خاضعين للقانون الإسرائيلي. وسيظل شعور الإسرائيلي بالوطنية ناقصاً طالما استمر وجود عرب 48، وستظل الهوية الإسرائيلية ناقصة في ظلّ هذا الانتماء الشكلي الظاهريّ لعرب 48 للتبعية الإسرائيلية (حسن، 1998: 44). وقد توصّلت الباحثة الإسرائيلية "سارة أوستسكي لازار"، (אוסטסקי-לזר، 2002: 27) في دراسة لها عن عرب 48 إلى أنّهم "تاضّلوا اعتباراً من عام 1949م من أجل الحصول على مكانة المواطن في "دولة إسرائيل" انطلاقاً من دوافع مختلفة: الواقعية، والخوف، والتسليم، وخيبة الأمل من الدول العربية، والرغبة في تحسين وضعهم، وقد وصّلت عملية الأسرلة ذروتها في حرب 1967م وعبرت عن تسليم متزايد بـ"إسرائيل" كحقيقة مادية وكدولة".

أمّا الباحث الفلسطيني (الإسرائيلي) وعضو الكنيسيت السابق "عزمي بشارة" فيرى أنّ عرب 48 باعتبارهم بقايا مهزومة لمجتمع مهزوم سعوا للحصول على الأمن وليس على المساواة، وأنّ العلاقات بينهم وبين الدولة قد تمتّ بواسطة جهاز الأمن العام (الشاباك - ש"ב) والأجهزة الأمنية الأخرى حتى نهاية الحكم العسكري⁽⁸⁾ عام 1966م (الشامي، 1997: 165).

ومن الجدير بالذكر أنّ السياسات الإسرائيلية تجاه عرب 48 لم تكن تهدف إلى "صهينة" أو "أسرلة" العرب من خلال دمّجهم في الدولة العبرية وإعادة تثقيفهم، فكما أنّ الهوية العربية لهؤلاء العرب تشكّل خطراً على كيان الدولة، فإنّ دمّج العرب كمواطنين متساوين في الحقوق يُشكّل أيضاً خطراً على طابع الدولة كدولة يهودية صهيونية ويلغي امتيازات الأكثرية. لذلك من الأنسب القول إنّ السلطات الإسرائيلية أرادت تمزيق الأقلية العربية وتجريدها من هويتها، ومن هذا المنطلق يُمكن أن نفهم هذه السياسة التي منعت العرب من التعبير عن انتمائهم الوطني والقومي من جهة، ولم تطلب منهم التعبير عن الانتماء الصهيوني - اليهودي من جهة أخرى، وإنّما أكّدت الولاء للدولة العبرية من بعيد من جهة ثالثة.

ولم يتحقّق هدف الصهيونية في إنشاء دولة خالصة لليهود تتشأ فيها شخصية إسرائيلية خالصة وذلك بفضل هذا الوجود لعرب 48. ولذلك فهم يُسمّون بـ"سرطان داخل جسم الدولة". ومن الناحية السيكلوجية فإنّ الوجود العربي الفلسطيني داخل

العبرية، التي تُعد اللغة الثانية للفلسطينيين في "إسرائيل"، أصبحت هي اللغة الوحيدة في كل شأن وقضية في حياة المواطن الفلسطيني في "إسرائيل"، فالعبرية هي لغة الجهاز البيروقراطي ولغة التعليم العالي، والأهم أنها لغة أوساط سوق العمل المتاح للأقلية الفلسطينية (الرفاعي، 2007: 209). ويُعد الواقع اللغوي السائد في "إسرائيل" بالنسبة للفلسطيني المقيم بالداخل واقعا ثنائيا؛ إذ يُنقن كلاً من العربية والعبرية، غير أنه كثيراً ما يحدث تداخل بين اللغتين في ظل هذه البيئة، فيسير التأثير عادةً من اللغة الأقوى في اللغة الأضعف، أي من اللغة المهيمنة لدى الفرد في اللغة الأقل هيمنةً. ويتجلى تأثير اللغة المهيمنة في "إسرائيل"، وهي اللغة العبرية، في اللغة الأضعف، وهي العربية، في مجالات اللغة كافة⁽¹⁰⁾.

وخلال المرحلة التي أعقبت اتفاقية السلام بين مصر و"إسرائيل" وانهيار المقاومة الفلسطينية في بيروت وما تبعها من إسقاطات على العلاقات اليهودية العربية في "إسرائيل" تميزت باتساع احتكاك المواطنين العرب باللغة العبرية في كافة مرافق الحياة، وقد أشار عدد من الباحثين العرب من بينهم محمد أماره (2002: 86-101) وعادل شقور (2015: 767، 768: 103)، إلى أن العبرية تحتل مكانة عالية في حياة عرب 48، وذلك نتيجة لتعليم اللغة العبرية في المدارس العربية والعلاقات اليومية بين العرب والإسرائيليين، واعتبروا استخدامها وسيلة حيوية ولا يمكن لعرب 48 الاستغناء عنها في مجالات الحياة المختلفة. وقد ازداد بشكل واضح التداخل اللغوي العبري في اللغة العربية المحكية (كيال، 2010: 180). وبالمقابل ازدادت التداخلات اللغوية العبرية في اللغة العربية المكتوبة ازدياداً ملحوظاً، بل انتشرت ظاهرة الكتابة المباشرة باللغة العبرية من قبل المثقفين العرب، وحظيت باهتمام الأوساط الثقافية اليهودية، حتى أن رواية "عريسك" التي كتبها أنطون شماس عام 1986م حازت على اهتمام واسع وأصبحت من أبرز الروايات العبرية (Kayyal، 1988: 42-45). وبالتالي فقد طغى الإحساس بتفانم أزمة الهوية داخل مجتمع عرب 48.

والمألوف هو أن يكتب الأديب أعماله الأدبية بلغته الأم، وأن نجد أدباء يكتبون بلغة أخرى غير لغتهم الأم، سواء كانت هذه اللغة لغة ثانية أو لغة مكتسبة، وهو أمر ليس بالغريب أو المستهجن وخصوصاً في عصر العولمة الذي نعيشه، فقد باتت عملية الكتابة بلغة أخرى ظاهرة مألوفة في العالم، ولا تقتصر على فئة عرقية أو أقلية معينة، وتكون هذه الكتابة إما وليدة الاغتراب واللجوء في أعقاب انتقال الكُتّاب من وطنهم إلى مواطن أخرى؛ وإما وليدة هيمنة لغة الأغلبية في الدولة نفسها (مرعي، 2012: 91). وإذا قمنا بقياس ذلك على معظم الأدباء

الشعب الفلسطيني، وكذلك خيبة الأمل من تهميش المجتمع الإسرائيلي للمواطنين العرب وإلحاق الغبن بهم شجعا النزاعات الانفصالية. وأضاف كيال أن هذا الصراع المحتدم تجلّى في أزمة الهوية لدى المجتمع الفلسطيني-الإسرائيلي. ووفقاً لكيال فإن أفضل ما يُعبّر عن هذه الأزمة هو ظاهرة التداخل اللغوي العبري. فمن جهة ازداد بشكل واضح اطلاع الأدباء الفلسطينيين على اللغة العبرية، كما ظهر جيل جديد من الأدباء الذين نشأوا وترعرعوا تحت الحكم الإسرائيلي وتعلّموا اللغة العبرية بصورة منتظمة في المدارس والمعاهد المختلفة. إضافة إلى أن انتهاء الحكم العسكري، الذي فرضته "إسرائيل" على الفلسطينيين خلال أعوام (1948م-1967م)، زاد من إمكانية احتكاكهم اليومي باللغة العبرية. ولكن من جهة أخرى أصبحت اللغة العبرية، التي تحمّل خطاباً فكرياً وسياسياً صهيونياً وسيلة من وسائل تغريب الفلسطيني ونفيه عن وطنه ومصادرة هويته مكانه وتهميش لغته، مما جعل التصدي لسياسة المؤسسة الإسرائيلية مرتبطاً أيضاً بتحدي اللغة العبرية (كيال، 2010: 176). وبالرغم من إلغاء "إسرائيل" للحكم العسكري في عام 1966م، وسماحها للفلسطينيين بالانخراط في بعض مؤسساتها الحزبية والسياسية إلا أن السياسة التي تتبناها "إسرائيل" تجاه مواطنيها من الفلسطينيين تهدف إلى تكثيف إحساسهم بيهودية "إسرائيل"⁽⁹⁾ والتقليل، في المقابل، من إحساسهم بالانتماء إلى كل ما هو عربي.

وقد رفضت "إسرائيل" خلال هذه المرحلة الاعتراف بالفلسطينيين بوصفهم أقلية قومية ونظرت إليهم بوصفهم أقلية عرقية يقيمون داخل حدودها، ومن هنا نشأ مصطلح "عرب إسرائيل". وعاش الفلسطينيون في ظل هذه المرحلة فترة انحطاط وعزلة ثقافية وسياسية عن كل التطورات التي كان العالم العربي يمر بها خاصة أن "إسرائيل" كانت تفرض كل أنواع القيود على الفلسطينيين بدءاً بفرض حظر التجول على كل القرى العربية وانتهاءً بنفيها لكل من يقاومها (2000: 270؛ الرفاعي، 2007: 207). وبطبيعة الحال لم يكن ممكناً أن تزدهر العربية سواء لغة أو أدبا في ظل هذه الفترة التي تحوّل فيها الفلسطينيون إلى سجناء في وطنهم.

ومن عام 1982م وحتى يومنا هذا جاءت مرحلة أخرى يُطلق عليها كيال مرحلة "الثنائية اللغوية" (كيال، 2010: 180). ففي ظل الوضع الذي عاشه الفلسطينيون داخل "إسرائيل" نشأت حالة من الثنائية اللغوية؛ إذ أصبحوا ينقنون العبرية بجانب إتقانهم للعربية، وقد أشار الباحث المصري جمال الرفاعي إلى أن مكانة العربية في أوساط الفلسطينيين المقيمين في "إسرائيل"، والتي تُعد بطبيعة الحال لغتهم الأولى، لم تُعد تتعد حدود دور العبادة والقراءة ومخاطبة أفراد العائلة. وفي المقابل فإن اللغة

ومحمد غنائيم، وأسامه أبو غوش، وسلمان ناطور، وأيمن سكسك، وعوده بشارت (ش ١٠٦٦، 2015: 102). إلى جانب ذلك هناك ترجمات عديدة بالعبرية لعدد من الكُتّاب والشعراء المحليين من عرب 48، أمثال إميل حبيبي، ومحمد علي طه، وسميح القاسم، وجمال قعوار، وشفيق حبيب، ونداء خوري وغيرهم، وعلى مستوى العالم العربي تَرجَموا إلى العبرية أعمال العديد من الأدباء والشعراء البارزين في العالم العربي، مثل: محمود درويش، وجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، ونجيب محفوظ، والياس خوري، والطبيب صالح، وحنان الشيخ، ويوسف القعيد، وجمال الغيطاني، وأدونيس، وأحلام مستغانمي والقائمة طويلة جداً.

ويُعدّ الكاتب عطا الله منصور⁽¹²⁾ أوّل كاتب عربي يَكتبُ رواية بالعبرية سمّاها "في ضوء جديد" (באור חדש) عام 1966م (חבר, 2013: 300؛ Kayyal, 2008: 38). وتحدث هذه الرواية عن شاب عربي يعيش في كيبوتس، ويحب فتاة يهودية تُدعى "رفكا" (רפקה)، وعن المصاعب التي يواجهها هذا الشاب كي يَتِمّ قبوله في الكيبوتس. ومن بعدّ عطا الله منصور كانت هنالك محاولات لأدباء عرب للكتابة بالعبرية، ولكنها كانت محدودة. ويعود الفضل للكتابة بالعبرية إلى أنطون شماس ونعيم عرايدي، إذ إنّ كتاباتهما بالعبرية فرضت نفسها على الأدب العبري وأصبحت جزءاً منه، وذلك بخلاف الأدباء الآخرين الذين كانت كتاباتهم العبرية بمثابة "موضة عابرة" كما أطلق عليها الباحث الإسرائيلي "سنير"، الذي تحدث عن ظاهرة كتابة الأدباء العرب الفلسطينيين بالعبرية (שניר, 1997: 142)، ثم جاء دور الأديب سيد قشوع الذي يكتب فقط بالعبرية، وبهذا يختلف عن بقية زملائه من الكُتّاب العرب، ثنائيي اللغة، الذين يكتبون بالعربية وبالعبرية أو يكتبون بالعربية ويترجمون أعمالهم للعبرية. وقد كان للشاعر محمود درويش رأيٌ وتعليقٌ حول ظاهرة كتابة أدباء عرب بالعبرية وذلك خلال حوار أجرته معه الطيبية والأديبة المغربية صالحة رحوتي، حيث سألتُه عن رأيه بالأدب العربي المكتوب بالعبرية، وكان جوابه: "لم أقرأ من هذا الأدب إلا رواية مُهمّة هي "أرابيسك" للكاتب انطون شماس. الآن هناك ما يشبه "الموضة" (رحوتي, 2008).

وقد اصطدم هؤلاء الفلسطينيون، الذين يكتبون إبداعاتهم بالعبرية، برفض المتطرفين والعنصريين اليهود، الذين يصبون إلى اليوم الذي يستيقظون فيه، فلا يجدون أيّ عربي من حولهم. إلا أنّ هناك أيضاً من يُفكّر عكس ذلك، ويقرأ ويتابع باستمرار ما تنتجه الأقلام العربية، ويهتم بهذا الإبداع ويُعلّق عليه، ويحرص على بقائه وسماعه وقراءته. وصرت تُجدّ المجلات الأدبية العبرية تُنشر لهم، ثم اتسعت الحلقة لتشمل ميادين إبداعية

العرب الذين يعيشون داخل "إسرائيل" فإن هذين الإدعاعين ينطبقان عليهم، كونهم فلسطينيين قضوا المرحلة الأولى من حياتهم في هذه الدولة تحت وطأة الاحتلال وفي ظروف قاهرة، بالإضافة إلى ذلك فإن العبرية هي اللغة الرسمية للدولة وهي لغة الأغلبية⁽¹¹⁾؛ ولذلك اتَّخذ أدباء فلسطينيون كثيرون ممّن يعيشون في "إسرائيل" من العبرية لغة لكتاباتهم الأدبية.

وقد عبّر بعض أدباء عرب 48، الذين كُتّبوا أعمالهم الأدبية بالعبرية، عن واقعهم اللغوي. ومن بين هؤلاء الأدباء سيد قشوع، الذي يقول في إحدى اللقاءات التي أُجريت معه عقب حصوله على جائزة رئيس الحكومة الإسرائيلية للأدباء الذين يكتبون بالعبرية عام 2004م، حيث كان "أريئيل شارون" (אריאל שרון) وقتئذ رئيساً للحكومة (אלקד-להמן, 2008: 128): "اللغة العبرية هي الوسيلة السهلة التي أُجيد التعبير من خلالها... لقد درّست المرحلة الثانوية والجامعية في القدس باللغة العبرية، ولذلك أنا أكتب بالعبرية، لقد اشتري لي والذي جهاز حاسوب عندما كنت في سن (21) عاماً، ولم يكن يحوي حروفاً عربية، ولذلك كُتِبَت بالعبرية، أنا لست شخصاً يقلب الأحوال، وإنما أسير مع المتوفر، أمل أن يأتي اليوم الذي يتوقف فيه الناس عن الحكم عليّ على أساس أصلي... وحقيقة كتابتي بالعبرية لا تحولني إلى ممثل/ أية ثقافة" (שתיי, 2004).

ثالثاً: أدباء عرب 48 وأدبهم المكتوب بالعبرية: بين النقاد العرب والإسرائيليين

كُتِبَ عددٌ من أدباء عرب 48، وما زالوا يكتبون، أعمالهم الأدبية باللغة العبرية، وبالرغم من قلة عددهم إلا أنّهم موجودون وهم، كما أسلفنا، كُتّاب فلسطينيون بقوا في وطنهم خلال نكبة 1948م، وأصبحوا مواطنين في الدولة العبرية، لكنهم تمسكوا بانتمائهم العربي. وظروفهم التي مكّنتهم من دراسة اللغة العبرية والتعرّف على الأدب العبري وتاريخ اليهود، وقراءتهم المعقّمة للتوراة وغيرها من مناهل التراث اليهودي، جعلتهم خبراء في هذا المجال، ودفعتهم العديد من أدبائهم وشعرائهم إلى الكتابة باللغة العبرية إلى جانب إبداعات بعضهم العربية وخاطبوا اليهود بلغتهم، لكنهم بقوا موضع جدل ونقد من اليهود ومن الفلسطينيين أيضاً.

وتجدر الإشارة إلى أنّ عدد الكُتّاب العرب من فلسطيني 48 الذين يكتبون أدبهم ومؤلفاتهم بالعبرية ما زال ضئيلاً، أبرزهم: نعيم عرايدي، وأنطون شماس، وسلمان ناطور، وأيمن سكسك، وسيد قشوع، إلا أنّ عدد هؤلاء الأدباء أخذ بالتزايد، واليوم هناك أحد عشر أديباً، وهم: أنطون شماس، ونعيم عرايدي، وسيد قشوع، وعطا الله منصور، ونواف عثامنة، وجريس طنوس،

العرب، وفجأة أصبح أنا العدو بعيني العرب" (الطوخي، 2010). وترى "دانا أولمرت" (דָנָה אֹלְמֶרֶת)، منظرّة أدبية وابنة رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق "يهودا أولمرت"، أنّ ثمة ألفة بين اللغة التي تنطق بها والمكان الذي تعيش فيه وأنه "عندما يكتب عربي بالعبرية، فهو يربك هذه الألفة؛ لأنّه يتبين فجأة أنّ بإمكانك أنّ تنطق وتكتب بالعبرية دون أنّ تكون صهيونياً... إنه يكتب للجمهور اليهودي، وعندما نقرأه نشعر بالارتباك. من جهة نتعاطف مع تجاربه، ومن جهة أخرى، فهي مرآة صعبة جداً للنظر من خلالها" (in: Kamin, 2013).

وحول الموضوع نفسه يجيب الأديب أيمن سكسك قائلاً لأخبار الأديب: "بحزني كثيراً الادّعاء أنّ الكاتب العربي الذي يكتب بالعبرية يخون هويته. الحقيقة على الأرض هي أنّ الكتاب الفلسطينيين الذين يكتبون بالعبرية، وأنا من ضمنهم، ينشغلون بالأساس بهويّتهم، هم يستخدمون العبرية وسيلة من أجل فحص هويّتهم المركبة كأفراد بداخل المجتمع الإسرائيلي الممزق، والمليء بالتناقضات" (الطوخي، 2010). ويرى سكسك أنّ اللغة العبرية في الواقع تخدم الفلسطينيين من أجل إيصال معاناتهم إلى الإسرائيليين وبلغتهم، ومن وجهة نظره فإنّ "الخوف الإسرائيلي من الأديب الفلسطيني الذي يقوم بإسماع صوته، هو شيء يجب على كلّ أديب فلسطيني يكتب بالعبرية التعامل معه: ثمة مقاومة وخوف من صوته بالحيز الإسرائيلي، وسوف يظل هذا الصوت غريباً للأبد، وغير متوقّع" (الطوخي، 2010).

وبذلك نرى أنّ حال هؤلاء الأدباء، الذين يكتبون أعمالهم الأدبية بالعبرية، هو حال لا يُحسدون عليه، فاليهود يعتبرون العبرية مرتبطة بهم وخدّهم ولا يجوز لغيرهم الكتابة بها، والعرب يصفونهم بالخيانة لأنهم يكتبون بلغة العدو، ويتخلّون بذلك عن هويّتهم الحقيقية. وقد عبّرت "دانا أولمرت" عن حال هؤلاء الأدباء، متخذة من سيد قشوع مثالا لتلك الحال، وحسب رأيها، فإنّ "العرب يعتبرونه يهودياً جداً، واليهود يعتبرونه عربياً جداً. وإنه عالق في الوسط" (in: Kamin, 2013).

والملاحظ أنّ ثمة شعوراً بالغربة لدى الأدباء العرب الذين يعيشون في "إسرائيل" ممّن يكتبون أعمالهم الأدبية بالعبرية، وقد أشار شماس إلى شعوره بالغربة في بداية روايته "أرابيسك"، حيث قال: "لقد قلتم لي بأن الطفل حين يؤتى به إلى بلد غريب يتعلم لغة هذا البلد في بضعة أسابيع وينسى لغته، أجل، إنني طفل في بلادكم". فمن خلال هذه المقولة يتضح مدى شعور شماس بالغربة في "إسرائيل"، وأنه يود تعلّم لغة هذا البلد، لذا بدأ الكتابة بالعبرية التي أتقنها وأحسن الكتابة بها (مرعي، 2012: ص 97).

وما يُمكن قوله في هذا الصدد هو أنّ هذا النتاج رغم كونه

أخرى، مثل المقالة السياسية، أو الاجتماعية، أو الصحفية، أو المسرح والسينما وغيرها. فهناك إبداع عربي اليوم باللغة العبرية يشمل كافة الميادين (زبيدات، 2007).

رغم وجود بعض الكتاب العرب في فلسطين الذين كتبوا أعمالاً أدبية عبرية، ورغم أنّ المستوى الأدبي واللغوي لتلك الأعمال لا يقل عن نتاجات الأدباء اليهود، إلا أنّ هناك جدلاً كبيراً بين نقاد الأدب العبري حول شرعية هذه المؤلفات الأدبية. فهناك من يؤكد أنّ هذه الأعمال الأدبية تقع خارج شرعية الأدب العبري ومن بين هؤلاء الباحث الأدبي الإسرائيلي "يوسف أورن" (יוסף אורן)، الذي يدّعي أنّ "الأعمال الأدبية التي يكتبها أدباء عرب، مثل شماس وعرايدي، بالعبرية تشوّه هوية الأدب العبري الذي يمتاز بالطابع القومي اليهودي، وأن استمرار هذا النوع من الكتابات سيُفقد الأدب العبري، في نهاية المطاف، هذا الطابع" (بمّود: שקور، 2015: 109-110). أمّا الأديب والنقاد الإسرائيلي "أهرون أمير" (אהרון אמיר، 1992: 39-40) فقد اختلف مع تلك الآراء التي أبدت تحفظاً على النشاط الأدبي لأدباء عرب بالعبرية، ويرى في هذه النتاجات الأدبية شهادة قاطعة ليس فقط على أنّ "إسرائيل" أصبحت بوتقة تضمّ قوميات مختلفة، وإنما على وجودها كمجتمع قومي، علماني، وديمقراطي. كتّب أنطون شماس معظم أعماله الأدبية باللغة العبرية، إضافة إلى الكثير من الأعمال التي ترجمها من العبرية إلى العربية وبالعكس. وإلى جانب النثاء والمديح الذي ناله على إتقانه التام للغة العبرية، والمستوى الأدبي الرفيع لأعماله، فقد نال كذلك نقداً لاذعاً من المجتمع الفلسطيني الذي اعتبره خائناً، ومن نقاد الأدب الإسرائيليين بسبب "اقتحامه" للأدب العبري (أبو مخ، 2005).

وحسب الصحفية الإسرائيلية "تيري ليفنيه" (טירי לייפניה) من صحيفة "هآرتس" (הארץ) الإسرائيلية، فقد ثارت موجة غضب عارمة ضدّ سيد قشوع بعد إصدار روايته "عرب راقصون"، التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً، فقد كتبت صحيفة "الاتحاد" العربية الصادرة داخل "إسرائيل"، أنّ قشوع يُكثّر في روايته من استعمال المصطلحات الصهيونية، وهو يحذو بذلك حذو "أفيجدور ليبيرمان" (אביגדור ליברמן). وحسب قشوع ترجع أسباب هذا الاتهام ضده إلى كثرة أصدقائه من اليهود ولهجرانه قريته الطيرة التي تخنقه إلى المدينة التي يشعر فيها على الأقل بشعور المجهول المغمور، بالإضافة إلى انتقاده للمجتمع العربي في "إسرائيل" (לייפניה، 2004). وفي مكان آخر عبّر قشوع عمّا يلاقيه الكاتب العربي، الذي يكتب بالعبرية، حيث يتمّ تلقّيه داخل جمهوره العربي بشكل سلبي للغاية: "كيف بصفتي كلّ النقد المكتوب بالعبرية وفي الخارج بأنني أُلقي الضوء على معاناة

يُكتب بها، حيث يقول: "ما دام النتاج الأدبي يُحدّد سلفاً أنّه ينتمي إلى اللغة التي يُكتب بها، فإنّه يحافظ على مستوى ثابت ولا يصاب بظاهرة الهبوط. ويظل المستوى يراوح على نفس الصّعيد المقنع طالما أنّ الأصوات تدور في نفس الواقع الاجتماعي والثقافي، وفي اللحظة التي ينقل فيها الكاتب وقائع قصّته إلى واقع آخر ويواصل بنفس اللغة فإننا نشهد ظاهرة الهبوط الأدبي" (מירכאָל، 1985: 50-51).

ويمكننا القول، في هذا المقام، إنّ إذا كان النتاج الأدبي الذي يكتبه عرب 48 يُعدّ أدباً عبرياً من حيث اللغة التي يستخدمها وإسرائيلياً من حيث المكان الذي يُكتب فيه، إلا أنه يُعدّ أدباً فلسطينياً خالصاً من حيث المضامين والأفكار والتوجهات التي يحملها بين ثناياه، أي يُمكن أن نطلق عليه تسمية "الأدب الفلسطيني المكتوب بالعبرية"، وقد أشار عبد الوهاب المسيري (2006: 362) إلى هذا المعنى قائلاً: "يُمكن الإشارة إلى هذا الأدب على أنّه أدب عربيّ مكتوب بالعبرية".

الأسباب التي دفعت أدباء عرب 48 إلى الكتابة بالعبرية:

هناك مجموعة من الأسباب التي دفعت الأدباء من عرب 48 إلى اتّخاذ العبرية لغةً لإنتاجاتهم الأدبية، فمنهم، كما أشرنا سابقاً، من راح في كتاباته بين العربية والعبرية، ومنهم من لم يكتب إلا بالعبرية، ولعلّ من أهم الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك، الأسباب الآتية:

(1) الرّغبة لدى بعضهم في الاندماج الثقافي في المجتمع الإسرائيلي، وذلك وفقاً لرأي الشاعر محمود درويش في حوار أجرته معه "صالحة رحوتي"، ولدى البعض الآخر قد يكون هذا الخيار نوعاً من المقاومة الثقافية ضدّ الإسرائيليين في لغتهم نفسها (رحوتي، 2008).

(2) رغبة هؤلاء الأدباء في توصيل مأساة الشعب الفلسطيني ومعاناته، وذلك من وجهة النظر العربيّة، وهذا ردّ فعل على السردية الصهيونية، وتشويه صورة الفلسطيني في الرواية العربيّة، فقد كرس كثيرٌ من الكتاب اليهود "كتاباتهم في سبيل خدمة الحركة الصهيونية وتحقيق أهدافها، لذلك تعمّدوا التشويه والإساءة إلى العرب والشخصية العربيّة في كتاباتهم المختلفة" (رضوان، 2012). وقد أكّد الأديب أيمن سكسك - وهو أحد أدباء عرب 48 الذين يكتبون أعمالهم بالعبرية - أنّه يطرح من خلال كتاباته قضية الهوية القومية للفلسطينيين الذين يعيشون داخل "إسرائيل"، وأنّ هدفه هو "إجبار الخطاب المجتمعي في "إسرائيل" على التعامل مع هذا الجمهور، ومع مشكلة هويّته القومية، بحيث يضطر المجتمع الإسرائيلي للإجابة عن بعض الأسئلة التي تطرحها هذه المشاكل. وكما يحدث هذا، ينبغي على

مكتوباً باللغة العبرية، إلا أنّ استخدام هذه اللغة لا يعني بالضرورة تسليم من يستخدمونها من عرب 48 بمقولات الحركة الصهيونية، ولا سيما أنّ هذه اللغة يستخدمها كثير من اليهود الشرقيين في "إسرائيل" مثل سامي ميخائيل في انتقاد مواقف المؤسسة الإسرائيلية سواء تجاههم أو تجاه الفلسطينيين. ومن هنا يمكننا القول إنّ استخدام أدباء 48 للغة العبرية لا يعني بالضرورة تسليمهم أو قبولهم بالفكر الصهيوني، فهناك فرق بين أن يكتب هؤلاء الفلسطينيون بهذه اللغة المفروض عليهم تعلّمها والتي هي لغة الحوار مع المستعمر الإسرائيلي، وأن يُعبّر أدب هؤلاء عن مبادئ الحركة الصهيونية.

رابعاً: هوية أدب عرب 48:

يحظى النتاج الأدبي العبري لعرب 48 باهتمام عدّد كبير من الباحثين الذين تباينت آراؤهم في هويّة هذا النتاج، فالعبرية، كما نعلم، هي وعاء خاص بثقافة اليهود لكن ثقافة الجماعات اليهودية الجديدة لا تزال في طور التكوين، باعتبار أنّ الاختلافات والانقسامات الثقافية لا تزال واضحة، لكن حتى الوعاء اللغوي، أيّ العبرية، التي ارتبطت دائماً بالجماعات اليهودية من الناحية الدينية بالمستوطن (الصهيوني) في نشاطات حياتهم كافة، بدأت تحيط به المشاكل بسبب إقدام عدّد من عرب 48 على كتابة أدبهم ومؤلفاتهم باللغة العبرية، فقد قرّضت الأعمال العبرية لعرب 48 نفسها على الأدب العبري كعمل فنيّ جيد، وفي هذه الشهادة اعتراف ضمنيّ بضرورة تصنيف الأعمال الأدبية العبرية لعرب 48 ضمن نسيج الأدب العبري. وقد رأى محمد ضيف في دراسته عن رواية "أرابيسك" للأديب أنطون شماس أنّ النتاج الأدبي العبري لعرب 48 يندرج تحت مظلة الأدب العبري، وعبّر عن رأيه هذا بقوله: "ولكننا نرى أنّ العبرة باستخدام الوسيلة اللغوية أو الوعاء اللغوي في العمل الأدبي، وطالما أنّ الشاعر والأديب أنطون شماس كتب روايته الأولى أرابيسك بالعبرية فإننا نعتبرها من الأدب العبري" (ضيف، 2000: 10)، ويتّضح ممّا ذهب إليه محمد ضيف أنّه يعتقد أنّ العمل الأدبي يُنسب إلى اللغة التي كُتِب بها، وليس إلى طبيعة الأفكار والمضامين الواردة فيه. وعلى هذا الأساس يمكننا القول إنّ "الأدب العبري" هو اصطلاح أكثر تخصيصاً من الأدب اليهودي والأدب الصهيوني، إذ يُقصد به تلك الكتابات التي كُتِبَت باللغة العبرية، فهو اصطلاح لا يعني مفهوماً أدبياً أو حضارياً بقدر ما يعني، بشكل خاص، الانتماء اللغوي (الشامي، 1983: 116).

ويؤكّد الأديب الإسرائيلي سامي ميخائيل، في معرض حديثه عن ظاهرة هبوط الأدب، انتماء النتاج الأدبي إلى اللغة التي

أن واقع الحال هو أن العبرية هي اللغة الرسمية الأولى للدولة بكل مواطنيها. وحول هذه الحقيقة يقول أنطون شماس: "في الثامنة عشرة من عمري، في عام 1968، اخترت بلا مُبرّر أن أتعامل مع العبرية كلغة زوجة أبي، وأحياناً أشعر بأن هذا العمل بمثابة تجاوز حدود ثقافي"، أي أن أنطون تجاوز حدود ثقافته العربية إلى اللغة العبرية وثقافتها مضطراً مثلما يضطر المرء لتعلّم لغة زوجة أبيه للتفاهم معها، وهو يتجاوز هنا المعنى الخاص لتعبير "زوجة الأب" إلى المعنى العام، إلى ما هو معروف عند الجميع من كراهية الإنسان لزوجة أبيه، ولكنه يكون مضطراً للتعامل والتفاهم معها بلغتها (ضيف، 2000: 9).

(6) أن الكتابة العبرية بقلم كاتب عربي تقوم بتفكيك الحدود التقليدية المألوفة للثقافة القومية، وهو ما يثير حفيظة الكثير من الكتاب اليهود. فالكاتب العربي يلغي العلاقة التي اعتبرت حتمية بين الأدب العبري واليهودي، ويُنشئ علاقة معها، وقد تكون صميمية شديدة. والفرضية المألوفة هي ارتباط الأدب بالهوية القومية للكاتب، وهذه الهويات تكون مقرونة بالهويات الإقليمية، والأدب يتوجّه إلى القارئ المرسل إليه بلغته، أو قد يكون مترجماً، وهو ما ميّز الآداب التي كُتبت في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كجزء من نهضة قومية فيها (Domb, 2000: 76-77).

(7) أن الأدب العبري الذي ينتجه فلسطينيون هو أدب أقلية، وأن أدب الأقليات لا يُكتب بلغة الأقليات، بل بلغة الأغلبية، وذلك حسب ما ذكرته الباحثة الفلسطينية في الأدب العبري الحديث "هدى أبو مخ"، التي تضيف: "في أدب الأقليات كلّ شيء سياسي، لا مكان للشخصي، فأدب الأقلية بحاجة إلى استغلال كلّ الوسائل في سبيل زيادة قوّته السياسية، ولذلك فإنّ الجانب الشخصي مجنّد لصالح الصراع السياسي لتلك الأقلية مع الأغلبية، وذلك حسب Fredric Jameson (أحد نقّاد الأدب والثقافة المعاصرين)، وكلّ شيء في أدب الأقليات يأخذ قيمة جماعية، فالأدب هو مسألة الشعب، والحديث يدور على تمثيل الكاتب الفرد لمجموعته التي ينتمي إليها" (أبو مخ، 2005). "وتعتبر كتابة أدب الأقلية بلغة الأكثرية المسيطرة من الظواهر الأدبية الجوهرية التي برزت عقب النظام الاستعماري وتحتاج إلى النقد الأدبي، ولذلك فإنّ قراءة الإنتاج الأدبي المكتوب بلغة الأكثرية، أي بالعبرية من قبل فلسطيني - تُحتم على القارئ التركيز الواعي أمام هذا الإنتاج" (76-77، 2008: 121).

(8) طابع اللغة العبرية بين أبناء مجتمع عرب 48، حيث يُستدل من خلال الدراسات والأبحاث التي أُجريت في أوساط مجموعة مختلفة من السكان في الوسط العربي أن العبرية تُعتبر لغة ذات منزلة مرتفعة في مجتمع عرب 48 (2002، 76-77).

النفّاش أن يتمّ بالعبرية، فهي اللّغة التي يُدار بها الحوار الثقافي في "إسرائيل"، سواء كان هذا الأمر جيداً أو سلبياً" (الطوخي، 2010). وحسب الأديب علاء حليحل تؤدي الكتابة بالعبرية دوراً بالغ الأهمية في الكشف عن مدى معاناة عرب 48، ويُضيف في حوار أجرته معه صحيفة "أخبار الأدب": "أنا أعتقد أن هذه مهمة مثيرة وبها فائدة كبيرة لأنّها ستصّنع القراء اليهود هنا، وستجعلهم يفكّرون بأنفسهم ويتصرّفاتهم كما تبدو في نظر الآخر الضعيف، المهمّش، ضحية الصهيونية التي يتمسكون بها بكلّ ما أوتوا من مدافع وطاقات" (عزالدين، 2007). وهنا يُمكن القول إنّ الكتابة بالعبرية تؤدي دوراً بالغ الأهمية في الكشف عن مدى معاناة الفلسطينيين الذين يعيشون داخل "إسرائيل"، فاللغة، في هذه الحالة، ليست هدفاً وإنما وسيلة، ولذلك فإنّ ظاهرة الكتابة بالعبرية في "إسرائيل" لدى أدباء عرب ليست بالجديدة وهي تشبه كتابة أدباء شمال أفريقيا الذين كتبوا بالفرنسية والإيطالية والإسبانية، لغات النظام الاستعماري السابق، حيث كانت غالبية كتاباتهم عبارة عن سيرة ذاتية (Feldhay-Brener, 2001).

(3) تذكير الإسرائيليين بأنّ في "إسرائيل" عرباً، وكأنّهم يقتحمون اللغة العبرية ويتمرسون في أدواتها، ليتحدّثوا بلسانها عن أمورٍ قد لا ترغب اللغة العبرية في كتابتها. وما يميّز الأدباء العرب الذين اقتحموا عالم الرواية العبرية، تمكّنهم من اللغة، فجاءت لغتهم فنيّة، محبّكة الأدوات والعناصر الفنيّة والسردية، فعبروا ببراعة تامّة عن سرديّتهم الفلسطينية بلغة عبرية (رضوان، 2012).

(4) التكوين والنشأة العبرية، اللذان ترجع أسبابهما إلى أن القرى العربية التي فيها مدارس ابتدائية، تُعتبر محظوظة، فيما جميعها تفقد للمدارس الثانوية، فكان الأهالي يرسلون أولادهم الذكور الناجحين لمتابعة دراستهم إلى مدينة الناصرة كبرى المدن العربية التي تتوافر فيها أكثر من مدرسة ثانوية أو إلى القدس أو يافا وحيفا. واختار قسم قليل من الأهالي أن يلتحق أبناءهم بمدارس يهودية، ولكن الأمر لم يكن بتلك السهولة، لأنّ الدراسة كلها ستكون بالعبرية التي لم يدرسها الشباب في مدرستهم العربية بمستوى كافٍ، وزادت صعوبة هذه الدراسة مع انتشار الأجواء السياسية العنصرية المعادية لكلّ ما هو عربيّ، لذا فإنّ من حالفه الحظ بالتغلّب على كلّ تلك المسبّبات ارتفعت مكانته بين أهله ومعارفه باعتباره مكافحاً في الغابة، وصار من الأسهل عليه أن ينسجم في الجامعات الإسرائيلية وهي كلّها عبرية (زبيدات، 2007).

(5) اضطرار أدباء عرب 48 إلى التعامل مع اللغة العبرية مكرهين، بوصفها لغة الدولة التي فرضت عليهم فأصبحوا مواطنين فيها. ورغم أن هذه الدولة ليست دولة لكلّ مواطنيها إلا

فسوطة بالجليل. دَرَس الابتدائية في قريته، وعندما أتم اثني عشر عاماً من عُمره انتقلت عائلته إلى حيفا، وهناك تَعَلَّمَ في مدرسة مختلطة يَدْرُس فيها العرب واليهود، وأنهى تعليمه الثانوي فيها (42: kayyal, 2008). دَرَس تاريخ الفن والأدبين العربي والإنجليزي في الجامعة العبرية في القدس بين الأعوام 1968م و1972م. وعَمِل، بين عامي 1976م و1986م في إنتاج برامج أدبية في القسم العربي للتلفزيون الإسرائيلي، كما كَتَبَ، في مطلع ثمانينيات القرن العشرين، مقالات بالعبرية للصحف الإسرائيلية، واستمرَّ في كتابتها حتى مغادرته البلاد عام 1987م (مرعي، 2012: 89).

شارك شماس في عام 1981م في برنامج الكتابة الدولي في جامعة أيوا الأمريكية. ونال زمالة من مؤسسة روكنلر وأمضى سنة (1987م-1988م) في مركز دراسات الشرق الأدنى وأفريقيا في جامعة ميشيغان، آن أربور University of Michigan Ann Arbor. ثم عَمِلَ عدّة سنوات محاضراً زائراً في هذه الجامعة في تدريس الأدب، وفي عام 1997م عُيِّنَ محاضراً بدرجة أستاذ في دائرتي الأدب المقارن ودراسات الشرق الأوسط في الجامعة نفسها. ولا يزال شماس يقيم في الولايات المتحدة الأمريكية (مرعي، 2012: 89؛ 42: kayyal, 2008).

ثانياً: نتاجه الأدبي

شماس كاتب ثلاثي اللغة، فهو يُتَقَنُّ العربية، والعبرية، والإنجليزية، بأسلوب أدبي راقٍ، وهذا ما مَكَّنَه من تحقيق النّجاح مترجماً وكاتباً متعدّد اللّغات. بدأ شماس نشاطه الثقافي في مجلة "الشرق" التي تأسست عام 1970م، إذ كان أحد مؤسسيها المعتمدين ورأس تحريرها على مدى خمسة أعوام متتالية (1971م-1976م). هذه الفترة صَقَلَتْ مواهبه الأدبية، حيث قام بنشر إبداعاته الأولى في هذه المجلة، ومن ثم انطلقت مسيرته الأدبية شاعراً وكاتباً ومترجماً للّغتين العربية والعبرية، وفيما بعد دَرَس الإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية، وبدأ يُترجم بعض الأعمال الأدبية لأدباء عرب للغة الإنجليزية. هذه النتائج والقدرات المتعدّدة الألوان واللّغات التي أنقّنها أكسبته القدرة على اختراق المنصات الأدبية محلياً وعالمياً (مرعي، 2012: 90).

بدأ شماس مشواره الأدبي في كتابة الشعر، وهو يُعَدُّ من شعراء التجديد. وقد أصدر كتابه الأول بالعربية وكان عنوانه "أسير يقظتي ونومي" عام 1974م، وهو عبارة عن مجموعة شعرية. ومن ثم نُشِرَ مجموعتين شعريتين باللغة العبرية: الأولى - "غلاف مقوى" (כריכה קשה) في عام 1974م؛ والثانية - "الأرض الحرام" (שטח ההפקר) في عام 1979م.

85 - 105). فالعبرية تتيح الانخراط في سوق العمل والتعليم، وتضمن استقراراً اقتصادياً جيداً، وأجور عمل مرتفعة. ولذلك، فإنّ العبرية تحتل مكانةً عالية في حياة عرب 48، وكل السكان العرب في "إسرائيل"، تقريباً، أصبحوا يتقنون هذه اللغة وإنّ درجاتٍ متفاوتة (שקור، 2015: 102).

9) من الناحية الأدبية، تُقرأ ترجمات الأدب في "إسرائيل" باللغة العبرية وليس باللغة العربية، فالعبرية تُعتبر وسيطاً ما بين الأدب العالمي والأدب العربي (אלל-בוסקילה، 2001: 43). ففي غالبية المناطق والتجمعات السكانية العربية لا يوجد إصدار كُتِبَ يُذكر، كما لا يوجد من دور النشر والمكتبات إلا العدد القليل. ولذلك يقول قشوع: "تصدّر الكتب من دور النشر بالعبرية، بتحرير عبري، وهذه اللغة التي أكتب بها" (שחיו، 2004).

10) يُمنَح اختيار العبرية لغةً للكتابة، الصحفي أو الأديب الظهور والشهرة في أوساط جمهور القراء الواسع في "إسرائيل". فالكتابة الصحفية بالعربية لم تستطع سابقاً اختراق مجالات واسعة، ونجح أدباء قليلون فقط بذلك في أوساط عرب 48، غالبيتهم من الشعراء، حيث تمكّنوا من الوصول إلى الشهرة في الدول العربية من خلال كتاباتهم باللغة العربية (אלל-בוסקילה، 2001: 44) إضافة إلى ذلك حظي الأدب العبري بالترجمة للغات كثيرة، كما حظي الأديب في أعقاب الترجمة بالظهور والشهرة العالمية. وهو ما حدّث مع أنطون شماس وسيد قشوع الذين تُرجمت أعمالهما الأدبية إلى لغات كثيرة (אלל-בوسكילה، 2001: 45).

والمُلاحظ هنا أنّ الكثير من أدباء عرب 48 لم يحالفهم لا النجاح ولا الشهرة الأدبية إلّا بعد انتقالهم للكتابة بالعبرية. فعلى سبيل المثال، نُشِرَ عطا الله منصور روايته الأولى "وبقيت سمر" عام 1962م باللغة العربية، ولم يحصل على أصداء في الأوساط العربية، ولكن بعد نشره لروايته العبرية "في ضوء جديد" (באור חדש) عام 1966م وترجمتها إلى الإنجليزية فيما بعد اكتسب شهرةً واسعة. والحال نفسه تكرر مع أنطون شماس الذي بدأ مشواره الأدبي بالكتابة بالعربية في بداية سبعينيات القرن العشرين، ولم يلاقِ اهتماماً كبيراً من الطرف العربي، فأخذ يكتُب بالعبرية وكان له نجاح عند القراء داخل "إسرائيل" وخارجها وذلك بعد أن تُرجمت روايته "أرابيسك" إلى لغات أجنبية كثيرة، في حين أنّها لمّا تُترجم إلى العربية.

أنطون شماس ومساهمته في كتابة الأدب العبري:

أولاً: حياته ونشأته

وُلِدَ الشاعر والروائي أنطون شماس عام 1950م في قرية

(أح'טיה) عام 1988م.

- "سرايا بنت الغول" لإميل حبيبي ونُشرت الترجمة العبرية (סראיה בת השד הרע) عام 1993م.
- "قصائد" للشاعر محمد علي طه ونُشرت الترجمة العبرية (שירים، מהדורה 16-לשונית (ערבית ועברית) عام 2006م.

يضاف إلى ذلك قيام شماس بترجمة العديد من الأعمال الشعرية للعديد من الشعراء العرب أمثال طه محمد علي، ومحمود درويش، وحلمي سالم، وعناية جابر، وعباس بيضون وغيرهم إلى اللغة الإنجليزية.

ثالثاً: رواية "أرابيسك"⁽¹⁵⁾:

رواية "أرابيسك" هي الرواية الوحيدة التي كَتَبَهَا أنطون شماس بالعبرية خلال مسيرته الأدبية، وقد نُشرت في "إسرائيل" للمرة الأولى عام 1986م، وهي التي حَقَّقَتْ له الشهرة الواسعة داخل "إسرائيل" وخارجها، وذلك بَعْدَ أَنْ تُرجمَتْ إلى ثماني لغات أجنبية. وقد كَتَبَهَا شماس بلغة عبرية أدَهَشَتْ الإسرائيليين أنفسهم، واعتبروها من الروايات الصَّعبة وذات مستوى رفيع باللغة العبرية، وفَرَضَتْ نفسها على الأدب العبري كعمل فني جيّد (ضيف، 2000: 10).

وأثارت هذه الرواية، بَعْدَ صدورها، ضَجَّةً في "إسرائيل"، ليس لمستواها الأدبي الرفيع فحسب، وإنّما، كما عبّر عن ذلك صلاح حزين (2003: 16)، لمستوى اللّغة العبرية المدهشة في قُوَّتِها. واللّغة العبرية، كما يَعتقد الإسرائيليون، هي إحدى خصائص اليهود التي لا يتسنى لغيرهم الوصول في إجادتها إلى هذا المستوى الرفيع ولا الإبداع من خلالها. فلم يُعرَف عن مبدع غير يهودي كَتَبَ أعمالاً أدبية على هذه الدرجة من الرُّقي من قَبْل، وهذا ما جَعَلَ إسرائيليّين كثيرين يتساءلون "كيف يُمكن لغير يهودي أَنْ يَكْتُبَ بلغة عبرية هي على هذه الدرجة من الرُّقي". ويرجع الباحث والأكاديمي إبراهيم خليل (خليل، 2012) أسباب الجدل الذي دار في أوساط الإسرائيليين عندما ظَهَرَتْ رواية "أرابيسك" عام 1986م إلى "أَنَّ الكاتب كَسَرَ الاحتكار اليهودي للّغة العبرية، فها هو ذا كاتب عربيّ من فلسطين يَكْتُبُ رواية بلغة عبرية أنيقة، ورفيعة المستوى. وسبَّبَ آخر، وهو أَنَّ الفضائح، والفظائع، التي تعبَّرُ عنها الرواية لا تخاطب القارئ العربي المنحاز للفلسطينيين، مثلاً هي الحال في رواية "المتشائل" لإميل حبيبي، بل تخاطب القارئ الإسرائيلي، وفي ذلك ما فيه من كَنَرٍ يَمَسُّ بالصورة التي تحاول "إسرائيل" الإدّعاء بأنّها صافية صفاء البَلُور، ونقيّة نقاء ماء المطر".

وتُشبه هذه الرواية في بنائها وأسلوبها وتداخل أحداثها وتعدّد

كما خاض شماس تجربة كتابة النثر بالعبرية، وكان متألّفاً بذلك، وبفضل هذه الكتابة اكتسب الشهرة في مجال الأدب، فأضحى أديباً يشار إليه بالبنان داخل "إسرائيل" وخارجها. كما فُتِحَ الباب على مصراعيه للكتابة بالعبرية أمام كُتّاب عرب آخرين ليخوضوا غمار تجربته الناضجة (مرعي، 2012: 94)، فسار عدَد من الأدباء على نهجه من بينهم: أيمن سكسك، وسيد قشوع، وفوزي الأسمر وغيرهم. وقد كان نتاجه في مجال النثر من خلال "قصة أكبر كذاب في العالم"، ورواية "عربيسكا" التي لاقت رواجاً كبيراً.

وقد كان لأنطون شماس نشاط أدبيّ كبير شَمَلَ الترجمة من العبرية إلى العربية وبالعكس، وكذلك من العربية إلى الإنجليزية. وكان خلال ستينيات وسبعينيات القرن العشرين أحد أهمّ مترجمي الأدب العبري الحديث إلى العربية، بعد أن كان ذلك النشاط، حتى بداية ستينيات القرن نفسه، حِكْراً على مترجمين يهود ذوي خلفية عربية (Kayyal, 2011: 78). وفيما يلي أهمّ هذه الترجمات:

أ - من أهمّ الأعمال التي تُرجمَها من العبرية إلى العربية (Kayyal, 2011: 78-81):

- "السفرة إلى جزيرة يمكن" (המסע אל האי אולי) (1972)، للأديبة "مريم يلان شتكليس" (مريم يِلَن شتקליس). وقد نُشرت دار الشرق في القدس الترجمة العبرية عام 1972م.
- "إذاعة من قمر اصطناعي" (תשדורות מלווין ريגول: שירים، תשדורות، מסמכים) (1974) للأديب "دافيد أفيدان" (דוד אבידן). وقد نُشرت الترجمة العبرية عام 1974م.
- "كوكب الرماد" (כוכב האפר) (1966) للأديب "يحيئيل دي-نور" (יחיאל די-נור). وقد نُشرت الترجمة العبرية عام 1975.
- "من صيف إلى صيف" (מקיץ אל קיץ) (1964)، للأديب "دافيد روكيج" (דוד רוקח). وقد نُشرت الترجمة العبرية عام 1977م.
- "صيد الغزالة: 12 قصة من الأدب العبري الحديث" (צייד הצביה - אנטولوجיה של 12 סיפורים עבריים). وقد نُشرت الترجمة العبرية عام 1984م.

ب - ومن ترجماته من العبرية إلى العربية (Kayyal, 2011: 86-88):

- "الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل" للأديب إميل حبيبي⁽¹³⁾ ونُشرت الترجمة العبرية (הכרוניקה המופלאה של היעלמות סעיד אבו אל-נחס אל-מתשאאל)⁽¹⁴⁾ عام 1984م.
- "أخطية" للأديب إميل حبيبي ونُشرت الترجمة العبرية

لصحيفة "كل المدينة" (כל העיר) الإسرائيلية، ثم تحوّل إلى ناقد تلفزيوني وصاحب عمود أسبوعي في الصحافة الإسرائيلية (שקור، 2015: 108). وعندما اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الثانية (انتفاضة الأقصى) 2000م-2005م، وازدادت حاجة الصحف الإسرائيلية لصحفيين من عرب 48 ليقدّموا تقارير إخبارية من أرض المواجهات وساحتها، بدأ قشوع يظهر على شاشة التلفاز بشكل متواصل، وتلقى العديد من العروض المغرية من الصحف الإسرائيلية الأخرى، انتقل على أثرها للعمل في ملحق "سبعة أيام" (7 ימים) التابع لصحيفة "يديעות أحرونوت" (ידיעות אחרונות)، واستمرّ فيها حتى عام 2003م⁽¹⁶⁾. بعد ذلك انتقل للعمل في صحيفة "هآرتس" (הארץ) الواسعة الانتشار في "إسرائيل"، وما زال يعمل فيها إلى اليوم، حيث يكتب فيها عموداً صحفياً أسبوعياً تحت عنوان "الوعاء الشعبي" (החבית העממית).

ثانياً: نتاجه الأدبي:

يتّضح من خلال السيرة الذاتية لقشوع أنّه اندمج في المجتمع الإسرائيلي منذ صباه، وأنّ العبرية كانت هي الوسيلة الوحيدة التي تلقى بها معارفه وعلومه، فقد درّس الفلسفة والعلوم الاجتماعية في الجامعة العبرية في القدس، فهو إذن صاحب تكوين ونشأة عبرية، وقد كان لهذه الخلفية دورها في إتقانه اللغة العبرية إلى الحدّ الذي دَفَع الباحث عبده وازن إلى القول: "هذا الكاتب الشاب نَجَحَ أيّما نجاح في إجادة العبرية منازلًا الإسرائيليّين في "عُقر" لغتهم... روائيٌّ موهوب، تمكّن من تطويع لغة "الآخر" كما لو أنّها لغته الأم، وكتب بها حال الانفصام التي عاشها بصفتها فلسطينياً مُقتلَعاً وإن داخل وطنه" (وازن، 2014)، ولكن إتقان قشوع للعبرية جاء على حساب اللغة العربية التي لم يعد يبتقيها بل ويعجز عن قراءة نتاجها الأدبي إلا مترجماً إلى اللغة العبرية، كما عبّر هو نفسه عن ذلك: "لا تتم الكتابة إلا بالفصحى، وأنا لا أعرفها بما فيه الكفاية. أنا أقرأ العربية لدى ترجمتها إلى العبرية" (الطوخي، 2010)، ولذلك فقد حُكِم على قشوع أن يكون "الآخر" في كلّ مكان.

وقد مرّ بطل الأعمال الأدبية لقشوع -الفلسطيني الأصل، الإسرائيلي الجنسية- وهو الراوي ذاته - بتجارب مختلفة ومتوتّرة من الرّفص والتقليد إزاء المجتمع اليهوديّ تفصح عنصريّة هذا المجتمع بالدرجة الأساس وتكشف، في الوقت ذاته، تمزّق الهوية الفلسطينية، وتكشف أيضاً عن هوية فلسطينية خاصة ومحدّدة وعن ظروف اجتماعية مرّت بتعتيم كليّ، وهي ظروف الفلسطينيين العرب الذين يعيشون في "إسرائيل". ويؤكد قشوع في أعماله الأدبية أنّه بالرغم من مرور المجتمع

شخصياتها تكوينات "الأربيسك" المعقّدة المتداخلة، فهي رواية الفلسطيني في حالاته المتعدّدة، وتحولاته المتواصلة، وهوياته المختلفة التي اكتسب بعضها خلال عُربته، واكتسب بعضها الآخر على أرض وطنه، تستوي في ذلك كلّ الهويّات فكّلها اكتسبها من دون اختيار، بل دُفِع إليها دفعاً في صورة أو أخرى، لذا فكّلها تظل أفتنة لهويّته الحقيقية المعبرة عن نفس معذّبة، ممزّقة بين أكثر من طرف واتّجاه (حزين، 2003: 16).

وقد تحدّث الناقد الأدبي الإسرائيلي "حنان حيفر" (חנון חיפר) عن تأثير هذه الرواية على الثقافة الإسرائيلية قائلاً: "أربيسك، بوصفها رواية عن فلسطيني يعيش في "إسرائيل"، هي اجتياح تقوم به الهوية العربية عن طريق اللغة العبرية للكيان السياسي الذي يُسمّى نفسه بـ"الأدب العبري" (الطوخي، 2010).

وتجدر الإشارة إلى أنّ مؤلّفات أنطون شماس لفتت أنظار الباحثين والدارسين داخل "إسرائيل" على المستوى التعليمي في مناهج التدريس للأدب العبري في المدارس الثانوية اليهودية والعربية. فعلى سبيل المثال، يتعلم الطلاب العرب في الوحدة الخامسة لـ"البجروت" (الثانوية العامة) قصيدتين لأنطون شماس وهما: "ملاحم الشخصية" (מלחמת الشخصية)، و"قصائد لأبي" (שירים לאבי). وكذلك على المستوى الأكاديمي، ثمة اهتمام بتدريس النتائج الأدبية لشماس في إطار المساقات التدريسية التي تتناقش مسألة أدب الأقليات في مجتمع متعدّد الثقافات أو أدب المهاجرين (مرعي، 2012: ص 90).

أما في العالم العربي، فقد حظيت هذه الرواية باهتمام الباحثين والنقاد العرب (العبد، 1990؛ الخطيب، 1990؛ صديق، 2000؛ ضيف، 2000؛ حزين، 2012) حيث تناولوها بالشّرح والتحليل وذلك من خلال قراءة النصّ المترجم للّغتين الإنجليزية والفرنسية أو من خلال النصّ العبري مباشرة؛ وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذه الرواية لم تُترجم إلى العربية، وقد أثنى النقاد على كاتبها وكالوا له المديح لإبداعه المميّز (مرعي، 2012: 97-98).

سيد قشوع ومساهمته في كتابة الأدب العبري:

أولاً: نشأته وثقافته:

وُلِد سيد قشوع عام 1975م في قرية الطيرة لعائلة مكوّنة من أربعة أبناء. والده موظّف بنك ووالدته معلّمة. عندما بلغ سنّ الخامسة عشرة، التحق بمدرسة العلوم والفنون في القدس، وهي مدرسة داخلية يهودية مرموقة وكانت الأولى من نوعها في "إسرائيل"، وبعد أن أنهى تعليمه الثانويّ درّس في الجامعة العبرية في القدس، وتخصّص في الفلسفة والعلوم الاجتماعية. بعد انتهائه من تعليمه الجامعيّ، عمِل "قشوع" مراسلاً صحفياً

وصدرت الترجمة عن دار الساقى في بيروت، والجدير بالذكر أن هذه الترجمة جاءت عن النص الفرنسي وليس عن النص العبري الأصلي.

تدور أحداث هذه الرواية بعد الانتفاضة الفلسطينية الثانية عندما قرر ساردها مجهول الاسم ولكنه غير مجهول الهوية الفلسطينية ترك العيش في المدينة - تل أبيب - والعودة إلى "الطيرة"، قريته العربية في "إسرائيل"، ليكتشف بهذه العودة بعد غياب عشرة أعوام في المدينة مدى عبثية الحياة وهامشيتها وهامشية أهداف سكانها. بشر يعيشون في دائرة مغلقة بعيدة عن الاهتمام الحكومي الإسرائيلي، ومواطنون معزولون عن دائرة الضوء والاهتمام ويبدو أنهم قد اقتنعوا بهذه التفاصيل اليومية البسيطة. ويعرض السارد للعديد من يوميات أهل القرية عاكساً بحساسيته النقدية المفرطة عدمية ولا جدوى الحياة، ومُخفياً فضله من وظيفته ككاتب صحفي في صحيفة إسرائيلية حيث يضطر يومياً الادعاء بأنه خارج للعمل لكي لا يعلم أهله بذلك، وهو هنا يصور حالة عدم وجود أمان وظيفي أو استقرار للعربي في "إسرائيل". ويعرض السارد عبر ضمير الأنا بالسرد ليعرض بعضاً من طفولته وعلاقته بأمه الخاضعة لعوامل الكراهية، كما يعرض لمراهقته وبداية بلوغه الحلم (العنزي، 2014). وتُظهر هذه الرواية العِلل الاجتماعية التي تتاب المجتمع الفلسطيني الداخلي، وترسم كذلك الوقائع اليومية لمعاناة الفلسطينيين مع المحتل، الذي يقطع التيار الكهربائي والماء عن القرية العربية التي تدور فيها الأحداث لأسباب مجهولة (زين الدين، 2012: 15).

ركز قشوع في هذه الرواية على الحصار العسكري الذي فرضته القوات الإسرائيلية على قريته العربية بعد أن تضامن سكانها من عرب 48 مع فلسطيني الضفة الغربية في انتفاضتهم الثانية (انتفاضة الأقصى 2000-2005) ضد الاحتلال الإسرائيلي. وعكس قشوع كيف أعاق هذا الحصار روتين الحياة في القرية العربية، وتطرق إلى التجاهل الإعلامي الإسرائيلي لهذا الحصار، وتهميش عرب 48 الذين يعيشون في ظل حصار ضائعين تحت سيطرة أنظمة طاغية مقارنة بالمجتمع الإسرائيلي، حيث فقدان حرية الحركة، والأمن الأساسي. كما أنهم يعيشون في حالة من الرعب الدائم والفرع الرهيب لأنهم معرضون في أي وقت للضرب والطرد والقتل والإبادة.

وقد أجرت الباحثة الإسرائيلية وأستاذة الأدب العبري في كلية "لوينسكي" (לוינסקי) للتربية، "إيلانا إلكاد-ليمان" (77-78-79)، دراسة حول هذه الرواية وبينت أن "الرواية مبنية على الخوف، خوف اليهود من (العنف العربي)،

الفلسطيني في "إسرائيل" بتحويلات عديدة سواء على المستوى الاجتماعي أو السياسي أو الثقافي، إلا أن كل هذه التحويلات لم تنجح في زعزعة إحساس عرب 48 بالانتماء إلى المجتمع الفلسطيني في الأراضي المحتلة والمشاركة في مقاومة الاحتلال. ولا يمثل الناتج الأدبي لقشوع حالة فردية أو محلية بقدر ما يمثل حالة لأوجاع المقهورين من عرب 48 الذين تسلب منهم هويتهم بعد أن سلبت منهم أراضيهم. حيث يسلط قشوع في رواياته الضوء على معاناة هؤلاء الذين يعيشون في كنف الاحتلال الإسرائيلي، ويصور كل أنواع الاضطهاد والتمييز العنصري الإسرائيلي الموجه ضدهم في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية... الخ، كما يكشف بقوة في أعماله الأدبية عن مدى بطش المستعمر وتعتته، وعن تمزق الهوية الفلسطينية.

وقد جاءت أعمال سيد قشوع الأدبية على النحو الآتي:

1) رواية "عرب راقصون" (עַרְבִים רֹקְדִים)، التي صدرت عام 2002م. وفي عام 2011م ترجم الباحث المصري جمال الرفاعي هذه الرواية إلى العربية تحت عنوان "عرب راقصون"، وصدرت هذه الترجمة عن مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات في القاهرة.

تتكون هذه الرواية من خمسة فصول رئيسة تنتظم في كل منها عدة قصص قصيرة، يقدم الراوي من خلالها سيرة ذاتية لعائلة فلسطينية تقيم داخل "إسرائيل"، فيتحدث الراوي في الفصلين الأولين عن دور والده في مقاومة سلطات الاحتلال، وتجربته في المعتقلات الإسرائيلية. ويتحدث الراوي كذلك عن نجاح بطل روايته في أحد الاختبارات التي أجرتها وزارة التعليم الإسرائيلية مما أهله للالتحاق بإحدى المدارس الداخلية في "إسرائيل". ثم يتناول في الفصلين الثالث والرابع تجربة بطل روايته في المدرسة الداخلية الإسرائيلية التي التحق بها، وجهوده التي بذلها للتكيف مع المجتمع الإسرائيلي وجعلته يغترب عن واقعه الفلسطيني، كما يكشف تفاصيل قصة حبه لفتاة يهودية تدعى "تعمي" وقد باءت بالفشل بعد أن رفضت والدتها هذه العلاقة بقولها أنها: "تفضل أن تمارس ابنتها السحاق على أن تصادق عربياً". أما الفصل الخامس والأخير من هذه الرواية الذي كان بعنوان "الطريق إلى الطيرة"، فيتناول عودة بطل الرواية مرة أخرى إلى القرية التي نشأ فيها، ويرصد هذا الفصل طبيعة التحويلات التي شملت كل أفراد العائلة (مقدمة جمال الرفاعي للترجمة العربية للرواية).

2) رواية "وكان صباحاً" (וַיְהִי בֹקֶר)، التي صدرت عام 2004م. وفي عام 2012م ترجمت المترجمة اللبنانية ماري طوق هذه الرواية إلى العربية تحت عنوان "ليكن صباحاً"،

المنظوم في الوقت الحالي. وهو يعرض في نتاجه الأدبي لحياة الفلسطيني الذي يحمل الجنسية الإسرائيلية، وحياة الفلسطيني في الأراضي الفلسطينية المحتلة (٦٧٦٧-٦٧٦٨، 2008: 127).

الخاتمة

عرب 48 هم العرب الذين بقوا في فلسطين بعد نكبة عام 1948م، وباتوا بحكم الهوية: أقلية عربية، وبحكم المواطنة: إسرائيليون، يحملون الجنسية الإسرائيلية، ولكنهم يحافظون على هويتهم الفلسطينية وتطلعاتهم وانتماءاتهم القومية والوطنية. ورفضت السلطات الإسرائيلية اعتبارهم أقلية قومية، بل أطلقت عليهم تسميات عنصرية نحو "عرب إسرائيل" أو "الطوائف غير اليهودية" أو "العرب الدروز" أو "الأقليات الدينية في إسرائيل"، وهي تسميات تعكس رغبة "إسرائيل" في محو شخصيتهم القومية المستقلة، وطمس هويتهم.

ظاهرة كتابة أدباء من عرب 48 باللغة العبرية هي ظاهرة جديدة نسبياً، لكن الملاحظ هو أن عدد هؤلاء الأدباء أخذ في الازدياد. وتكمن أهمية النتاج الأدبي العبري لهؤلاء الأدباء في إتاحة الفرصة الكافية للقارئ اليهودي للتعرف على نمط حياة العربي في "إسرائيل" وتقاليدته، ويكشف للقارئ العربي، في الوقت نفسه، عن السياسة الإسرائيلية المتبعة ضد الفلسطينيين بشكل عام، وعرب 48 بشكل خاص، الراضية لفكرة اندماج العربي في الحياة الإسرائيلية من خلال وضع الحواجز والعقبات أمامه.

وقد اختلفت الأسباب التي دفعت أدباء عرب 48 إلى كتابة أعمالهم الأدبية باللغة العبرية، فمنهم من كتب بها وكان همه إيصال معاناة الفلسطينيين إلى الإسرائيليين بلغتهم أنفسهم؛ وهناك قسم آخر كتب بهذه اللغة لأنه نشأ وتعلم في بيئة لغوية وثقافية عبرية خالصة فرفضت عليه الكتابة بالعبرية، فهو لا يتقن غيرها؛ ومنهم من أعلن أنه يكتب بها إلى جانب كتابته بالعربية لأنه، شأنه شأن أي أديب آخر يجيد أكثر من لغة، لا مانع لديه من أن يكتب بأية لغة يجيدها؛ ومنهم من اختارها لأنها تمنحه الظهور والشهرة في أوساط جمهور القراء الواسع في "إسرائيل".

ورغم النجاح الأدبي الذي حققه الأدباء العرب الذين كتبوا أعمالهم بالعبرية، ورغم أن مستوى أعمالهم لا يقل عن أعمال نظرائهم من اليهود، إلا أن هناك جدلاً بين النقاد اليهود حول شرعية هذه المؤلفات الأدبية، فمنهم من يرى أن الأدب العبري ينتمي إلى الهوية اليهودية، ويرى آخرون أن الأدب العبري يمتاز بالطابع القومي اليهودي، ورغم كل الآراء إلا أن تلك الأعمال الأدبية فرضت نفسها على الأدب العبري.

والتهديد الديمغرافي من جهة، وخوف العرب من مستقبل غير واضح المعالم، وغير مطمئن لإمكانية تحقيق تقدم اقتصادي وأمني للمجتمع العربي في "إسرائيل" في ظل نظام الظلم والحرمان، بالإضافة إلى الخوف من المجتمع الذي يزداد فيه العنف ويتعاضد، من جهة أخرى. فالرواية تحتوي على العديد من الصور الرمزية والتصويرية.

ويمكن القول إن هذه الرواية تُعد استكمالاً لروايته الأولى "عرب راقصون". فبينما يسجل قشوع فيها حالة الغربة التي يشعر بها كمواطن فلسطيني يقيم في "إسرائيل"، ومدى التحولات التي عاصفت بعائلته الفلسطينية التي تُعد رمزاً للمجتمع الفلسطيني في "إسرائيل"، فإن رواية "وكان صباحاً" تكشف أن بطل قشوع القصصي قرر اعتزال العمل صحافياً في المؤسسة الإسرائيلية والعودة إلى قريته الطيرة بعد أن تكشف له أنه لا يمكن أن يمارس فلسطينيته إلا في محيطه العربي المتمثل في قريته الطيرة.

3) رواية "ضمير المخاطب" (בשר ודם 777)، التي صدرت عام 2010م.

يتطرق قشوع في هذه الرواية، بأسلوبه الكتابي الساخر، إلى بعض الجوانب السلبية للمجتمع العربي داخل "إسرائيل"، ويشير إلى التأثير الكبير للثقافة الشعبية العربية في طريقة فهم الشباب العرب للبيئة المحيطة بهم. كما تُقدم الرواية معلومات كثيرة عن المجتمع العربي داخل "إسرائيل"، وجوانب عديدة من حياتهم (بطواش، 2011).

والملاحظ أن قشوع تناول، من خلال رواياته الثلاثة، حياة السكان العرب في "إسرائيل" ومشاكلهم والصراعات الداخلية والخارجية بين القوميات والعقليات، وطرق المعيشة المختلفة في المجتمع الإسرائيلي. وقد عبر الروائي العراقي علي بدر عن أعمال قشوع الأدبية واصفاً إياها بأنها: "روايات صادمة، تكمن قوتها في الكشف عن هزيمة كلبية وشاملة لا لآخر فقط إنما للذات أيضاً، وتصور كل أنواع الاضطهاد والتمييز العنصري الموجه ضد الفلسطينيين، كما تكشف بقوة عن تمزق الهوية الفلسطينية وتشظيها" (بدر، 2008: 16).

بقي أن نشير إلى أن قشوع، المولود في عام 1975م، يمثل جيل ما بعد أنطوان شماس ونعيم عرايدي، ولذلك لا تشكل كتابته بالعبرية ظاهرة جديدة. ولأن قشوع ولد بعد حرب عام 1967م، وحرب أكتوبر عام 1973م، فقد انعكس واقع هذه الحروب بشكل جوهري على نتاجه الأدبي الذي كتب بلغة "محكية" وضعيفة، تختلف كثيراً عن لغة شماس وعرايدي، وتعتبر لغة قريبة من لغة عدد من كتّاب النثر العبري غير

الهوامش

- (1) أخذت هجرة اليهود إلى فلسطين بعد إقامة "دولة إسرائيل" شكل موجات متعاقبة من الهجرة، كانت أولاها موجة الهجرة الكبرى 1948م - 1951م، ثم موجة هجرة 1952م - 1954م، وموجة هجرة 1955م - 1957م، وموجة هجرة 1958م - 1964م، وكانت آخر هذه الهجرات تلك الهجرة المكثفة لليهود الإتحاد السوفياتي سابقاً، والتي مازالت مستمرة حتى الآن. انظر: (فهيم، 1974: 22).
 - (2) أمنون شاموش: أديب وشاعر، وُلد عام 1929م في حلب. هاجر إلى فلسطين عام 1938م، وبعد أن أنهى دراسته في مدرسة "جمناسيا هرتسليا" تل أبيب التحق بـ"البلماح" (פלמ"ח) (سرايا الصاعقة)، وهو من مؤسسي كيبوتس "معين باروخ" (מעיין ברוך). تخرج في الجامعة العبرية بالقدس، وبدأ نشاطه الأدبي وهو في سن الأربعين، ومنذ ذلك الحين نشر العديد من القصص، والروايات، والأشعار، والمقالات والدراسات. وترجمت كتبه إلى العديد من اللغات، وحصل على العديد من الجوائز الأدبية. انظر: (هيك، 2007: 29).
 - (3) شمعون بلاص: وُلد عام 1930م في بغداد، وهاجر إلى فلسطين عام 1951م. استقر هو وعائلته في "المعابر" (מעברות) لمدة عام، وكان لهذه الفترة تأثير كبير في حياته الأدبية. درس الأدب العبري في جامعة تل أبيب. قضى سنوات طويلة في تدريس اللغة العربية والأدب العربي في جامعة حيفا. أصدر مجموعة من الروايات منها: "المعبر" (1964م)، و"غرفة مغلقة" (1980م)، و"الشتاء الأخير" (1984م)، و"الوارث" (1987م)، و"صولو" (1987م)، وكانت آخر رواياته "ضمير المتكلم" (2009م). كما أصدر ثلاث مجموعات قصصية، أهمها "نذر الخريف" (1992م)، إضافة إلى كتب نقدية حول الأدب العربي منها: "الأدب العربي في ظل الحرب: 1948م - 1973م" (1978م)، و"الأدب العربي والتحديث الفكري" (1993م)، و"رواد مبدعون: دراسات في الأدب العربي المعاصر" (2003م). انظر: (هيك، 2007: 29).
 - (4) سامي ميخائيل: وُلد عام 1926م في بغداد، وكان عضواً في الحركة السرية الشيوعية، وعضو هيئة تحرير الصحف الناطقة بلسان الحركات السرية، هرب إلى إيران عام 1948م، ثم هاجر إلى فلسطين عام 1949م، واشترك في الحزب الشيوعي الإسرائيلي ولكنه تركه عام 1955م. درس في جامعة حيفا، وقد ترجمت أعماله الأدبية إلى لغات كثيرة. (الشاذلي، وسالم، 2008: 102).
 - (5) أخذت هجرة اليهود إلى فلسطين بعد إقامة "دولة إسرائيل" شكل موجات متعاقبة من الهجرة، كانت أولاها موجة الهجرة الكبرى 1948م - 1951م، ثم موجة هجرة 1952م - 1954م، وموجة هجرة 1955م - 1957م، وموجة هجرة
- (6) حتى الآن. انظر: (فهيم، 1974: 22).
 - (7) ترى سيجال جورجي أن "حالة الحرب بين إسرائيل والدول العربية المجاورة أدت إلى إزاحة اللغة العربية جانباً بالنسبة لليهود القادمين من البلاد العربية، وفي بعض الأحيان نشأ حالة تشبه العداء بين اللغتين والثقافتين. نتيجة لذلك أصبح الكثيرون يتجاهلون التشابه والتقارب بين اللغتين" (جورجي، 2013: 101 - 102).
 - (8) استمر الحكم العسكري منذ إقامة إسرائيل عام 1948م حتى عام 1966م. ولم يُسمح، حسب الأوامر العسكرية، للمواطنين العرب بالخروج من مدنهم وقراهم إلا بتصاريح من الحاكم العسكري. كما تم الإعلان عن القرى المهجرة مناطق عسكرية مغلقة وذلك بموجب أنظمة الطوارئ حسب المادة 125، مما أدى إلى منع عودة المهجرين إلى بيوتهم وقراهم، وخصوصاً هؤلاء الذين بقوا في حدود "إسرائيل" وحصلوا على المواطنة الإسرائيلية (جريس، 1975: 11).
 - (9) عزز تعريف "إسرائيل" كدولة يهودية من مكانة اللغة العبرية، التي أصبحت بدورها الرمز أو الشعار للكيان الصهيوني في توحيد اليهود وفي تقوية هويتهم (مرعي، 2013: 40-41). من هذا المنطلق، اكتسبت اللغة العبرية مكانة اللغة القومية المسيطرة في الدولة. على الرغم من كون إسرائيل دولة مهاجرين وتركيبها السكانية مزيج من شعوب مختلفة، تتحدث على الأقل 72 لغة من اللغات العالمية الدارجة، فقد عمل صناع القرار في الدولة من دوافع أيديولوجية لأن ينسى كل مهاجر لغته الأم، ويتعلم العبرية ويتقنها محادثة وكتابة. هذه السياسة المبرمجة، الناجمة عن دوافع أيديولوجية-قومية، ساهمت في انتشار العبرية في جميع ميادين الحياة المهنية والعلمية، وهناك من يُسمى العبرية بلغة الدولة، أي اللغة المهيمنة. لمزيد من التفاصيل، انظر: (مرعي، 2013: 41-43).
 - (10) هناك العديد من الدراسات التي تناولت موضوع تأثير العبرية في العربية، منها على سبيل المثال: (مرعي، 2013: 40-54)؛ (الرفاعي، 2007: 199 - 234)؛ (أبو السعد، 1994).
 - (11) مع نهاية الحكم العثماني في فلسطين عام 1917م، واحتلال فلسطين من قبل القوات البريطانية، وبداية الانتداب البريطاني، أدى إلى تغييرات بعيدة المدى في جميع مناحي الحياة، ومن ضمنها المشهد اللغوي، حيث عزز الانتداب

تُحْتَم عليهم معرفة اللغة العبرية والتحدث بها، بل حتى التكرار أحياناً للغة العربية وللهوية العربية. هذه الظروف تتجلى، قبل كل شيء، بالاحتكاك اليومي باليهود في مرافق الحياة المختلفة وما يفرضه ذلك من حاجة للتواصل اللغوي. فسيعد، بطل هذه الرواية، الذي كان لا يُجيد العبرية، لم يرغب بالتحدث باللغة العربية في بيئة يهودية لئلا يكشف عن هويته العربية.

(14) في عام 1995م صدرت طبعة أخرى منقحة عن دار نشر "هكيبوتس همؤحد" (הקיבוץ המאוחד).

(15) שמאס، א'. ערבסקות. תל אביב: עם עוהד 1986.

(16) "סייד קשוע 1975"، מתוך האתר של לקסיקון הספרות העברית החדשה. עורך אחראי: יוסף גלרין-גולדשלגר، 2015: <http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/00144.php>

حسن، م. خ. (1998) الشخصية الإسرائيلية (دراسة في توجهات المجتمع الإسرائيلي نحو السلام). سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، العدد (2)، مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة. الخطيب، ح. (1990) ظلال فلسطينية في التجربة الأدبية. دمشق: دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية.

خليل، أ. (2012) "صلاح حزين في آخر ما كتب: إضاءات على الأدب الإسرائيلي الحديث". القدس العربي، 2012/11/23، <http://www.alqudsalarabi.info/index.asp?fname=data/2012/11/11-23/23qpt898.htm>

راوي، أ. ك. (1997) القصة القصيرة عند مردخاي طيب - دراسة في الشكل والمضمون مع نماذج مترجمة من خلال مجموعتيه القصصيتين "الطريق الترابي" و"رحلة إلى الأرض الكبرى". رسالة ماجستير غير منشورة. جامعة القاهرة.

رحوتي، ص. (2008) "كائنًا من كان... درويش... ذلك القديس الذي أريد له أن يكون". ألف، دراسات، 2008/11/11، <http://aleftoday.info/article.php?id=2977>

رضوان، آ. ع. (2012) "الرواية العربية في فلسطين 48". صوت العروبة، فن وثقافة، 2012/10/16، <http://arabvoice.com/34527>

الرفاعي، ج. (2007) "أزمة اللغة العربية في إسرائيل: مؤثرات عبرية في لغة الصحافة العربية في إسرائيل". مجلة الدراسات الشرقية، العدد (40): 199 - 234.

رمزي، ع. (2002) عرب 48 بين الواقع الإسرائيلي والانتماء القومي العربي. أبو ظبي: مركز زايد للتنسيق والمتابعة.

زبيدات، أ. (2007) "عرب يكتبون بالعبرية: أدباء محكومون بالبقاء بين فكي كماشة"، الشرق الأوسط، العدد (10543)، 2007/10/10، <http://archive.aawsat.com/details.asp?article=440725&issueno>

البريطاني في فلسطين مكانة اللغة العبرية التي ترسخت آنذاك كلغة، تم إحيائها للمجتمع اليهودي، وتحولت إلى لغة رسمية إلى جانب العربية والإنجليزية. لمزيد من التفاصيل، انظر: (أمارة، 2010: 15).

(12) وُلِدَ عطا الله منصور في قرية الجش في الجليل الأعلى شمالي فلسطين، وتعلّم في لبنان في الأعوام (1946م-1950م) عاد عام 1950م إلى "إسرائيل" متسللاً وبعد مرور عشرة أعوام حصل على الجنسية الإسرائيلية، عمل في الصحافة الإسرائيلية وذلك في مجلة "هذا العالم" (העולם הזה) خلال أعوام (1954م-1958م)، ثم عمل مراسلاً لصحيفة "هآرتس" (הארץ) خلال أعوام (1958م-1971م). أصدر رواية عبرية في عام 1966م كان عنوانها "في ضوء جديد" (באור חדש) (شكور، 2015: 107).

(13) يؤكد إميل حبيبي في أكثر من موضع في روايته هذه أنّ الظروف التي يعيشها الفلسطينيون تحت الحكم الإسرائيلي

المصادر والمراجع

الأزعر، م. خ. (1992) "عرب 1948 في فلسطين: رؤية مستقبلية"، شؤون عربية، العدد (72).

أمارة، م. (2010) اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات. ط 1، الأردن: دار الفكر.

بدر، ع. (2008) "سيد قشوع يكتب بالعبرية لغة 'القامع': الذات الفلسطينية متحققة في المنفى المزوج". الحياة، آداب وفنون، العدد (15464)، 2008/05/02، ص 16.

بطواش، ح. (2011) "قراءة في رواية ضمير المخاطب لسيد قشوع". الحوار المتمدن، الأدب والفن، العدد (32354)، 2011/01/22

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=242684> جبريل، م؛ نزال، و؛ والصباغ، ز. (1991) فلسطينيو 48 نضال تحرري مستمر 1948-1988، دمشق: دار كتعان للدراسات والنشر.

جريس، ص. (1975) النزعات العنصرية في العقيدة والممارسات الصهيونية. مجلة شؤون فلسطينية، العدد (52).

جورجي، س. (2013) "بين لغة أمي العربية وشقيقتها العبرية: لغتان متكاملتان غير متخاصمتين". بداخل يوسف تيسير جبارين (محرر)، كتاب دراسات، العدد (6)، الناصرة: المركز العربي للحقوق والسياسات، ص 98 - 103.

حزين، ص. (2003) "بحثاً عن رواية 'أرابيسك' التي لم تترجم إلى العربية. أنطون شماس كتب بالعبرية مأساة الفلسطيني التائه". الحياة، العدد (14818)، آداب وفنون، 2003/10/19، ص 16.

--- (2012) إضاءات على الأدب الإسرائيلي الحديث. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2012.

---. (2013) "الدخيل العبري في اللسان الفلسطيني: أسبابه وأبعاده". بداخل يوسف تيسير جبارين (محرر)، كتاب دراسات، العدد (6)، الناصرة: المركز العربي للحقوق والسياسات، ص 40-54.

المسيري، ع. (2006) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ط3، مج 3، القاهرة: دار الشروق، ص 362.

هيكل، أ. (2007) يهود المغرب في الأدب العبري الحديث وأوهام الخلاص الزائف. سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، العدد (21)، جامعة القاهرة: مركز الدراسات الشرقية.

وازن، ع. (2014) "كاتب إسرائيلي بذاكرة فلسطينية". الحياة، العدد (18826)، 2014/10/20. <http://alhayat.com/Opinion/Abdo-Wazen/5158857>

Feldhay-Brener, R. (2001) The Search For Identity in Israeli Arab Fiction: Atallah Mansour, Emile Habibi and Anton Shammas. *Israel Studies*, 6: 3: 91-113.

Debra Kamin (2013) "The Greatest Living Hebrew Writer Is Arab". *The Tower Magazine*, Issue 3, <http://www.thetower.org/article/the-greatest-living-hebrew-writer-is-an-arab>

Domb, R. (2000) Ideology, Identity and Language in Modern Hebrew Literature. *Israel Affairs*, 7 (1):71-86.

Kayyal, M. (2008) "Arabs Dancing in a New light of Arabesques: Minor Hebrew Works of Palestinian Authors in the Eyes of Critics". *Middle Eastern Literature*, 11 (1): 31 – 51.

Kayyal, M. (2011) "From left to right and from right to left – Anton Shammas's translations from Hebrew into Arabic and vice versa". *Babel*, 75 (1): 76 – 98.

أوسقزي-لوزر، ش. (2002) "عربي محפש منوזה نكوזה". معرّب، موسف شبت - سפרות וספרים، 08 בפברואר 2002، עמ' 27.

ألعـد-بوسكילה، ع'. (2001) مولدت نחלת، أرض أبودا، شيشة فركيم בספרות הפלסטינית החדשה. اور-יהודה: ספריית מערב.

ألكد-להמן، أ'. (2008) "مזודה וגדר – על ערבים רוקדים ויהי בוקר מאת סייד קשوع"، בתוך: אילנה אלקד-להמן (עורכת)، זיויות וישראליות – בין זר למוכר: קריאה ביצירות מאת חמישה יוצרים בספרות הווה. ירושלים: הוצאת כרמל، עמ' 119 – 154.

أمارة، م'. (2002) העברית בקרב הערבים בישראל: היבטים סוציולinguisticsיים، בתוך: שלמה זרעאל (עורך)، מדברים עברית – לחקר הלשון המדוברת והשונות הלשונית בישראל، תל אביב: אוניברסיטת תל אביב، עמ' 85-105.

أمير، أ'. (1992) "نورמה יהודית לספרות עברית". מאזניים,

زين الدين، أ. (2012) "سيد قشوع يكتب بالعبرية هويته "الممزقة". الحياة، العدد (17887)، آداب وفنون، 2012/03/25، ص 15. أبو السعد، أ. (1994) تأثير العبرية على السكان الفلسطينيين في الأراضي المحتلة. رسالة ماجستير، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد الدراسات العربية. الشاذلي، ج. ع، وسالم، ون. ر. (2008) القصة العبرية الحديثة، مراحلها وقضاياها، ط 3، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع. الشامي، ر. (1983) "حول الأدب العبري الحديث ومراحلته"، مجلة الدراسات الشرقية، العدد الأول. مركز الدراسات الشرقية- جامعة القاهرة.

____. (1997) إشكالية الهوية في إسرائيل. عالم المعرفة، العدد (224)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. صديق، م. (2000) "الكتابة بالعبرية الفصحى: تقديم رواية عريسك وحوار مع أنطون شماس". ألف – مجلة البلاغة المقارنة، العدد (20)، ص 155 – 167.

ضيف، م. ف. (2000) أرابيسك أنطون شماس وشخصية الفلسطيني في إسرائيل بين الاحتواء الصهيوني والانتماء القومي العربي. الطبعة الأولى، القاهرة: (د. ن).

الطوخي، ن. "أدباء عرب يكتبون بلغة العدو: قصة فلسطين... بالعبرية". أخبار الأدب، 2010/08/13. <http://www.masress.com/adab/1101>

عبد السلام، س. (1988) مفاهيم عنصرية في الأدب العبري الحديث. القاهرة: دار التعاون للطباعة والنشر.

عز الدين، م. (2007) "علاء حليح: لولا السخرية لتحولنا إلى ندابين". أخبار الأدب، 2007/04/18. <http://hlehel.me/mansourah>

العنزي، س. (2014) "الرواية العبرية "فليكن فجرا" للكاتب سيد قشوع: نقد تقاليد المجتمع الأبوي وصراع الهويات داخل إسرائيل". القدس العربي، أدب وفن، 2014/06/22. <http://www.alquds.co.uk/?p=183651>

العبد، ي. (1990) تقنيات السرد الروائي في المنهج البنيوي. بيروت: دار الفارابي.

فهيم، و. (1974) الهجرة اليهودية إلى فلسطين. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

كيال، م. (2010) "التداخل اللغوي العبري في الأدب الفلسطيني المحلي". المجلة. حيفا: مجمع اللغة العربية، العدد (1)، ص 167-186.

أبو مخ، ه. (2005) "النص كمنهجية إقصاء: الأدب العبري كنموذج". الحوار المتمدن، الأدب والفن، العدد (1357)، 2005/10/24

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=48750> مرعي، ع. (2012) "الأديب أنطون شماس كاتب متعدّد اللغات والثقافات"، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث. الجزء الثاني: الأدب المحلي، (إعداد وتحرير د. ياسين كنانة)، باقة الغربية: إصدار مجمع القاسمي.

"סייד קשוע 1975", מתוך האתר של לקסיקון הספרות העברית החדשה. עורך אחראי: יוסף גלרין-גולדשלגר, 2015: <http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/00144.php>
שניר, ר'. (1997) "ואני הוזה בשטח ההפקר – יוצרים ערבים פלסטיניים בלשון העברית". בלשנות עברית, 41-42: קובץ מיוחד לסוציולinguוויסאיקה לשון וחברה בישראל, עמ' 141-153.
שקור, ע' וטרביה ע'. (2015) "הכתיבה העברית של סופרים ערבים בישראל", בתוך ד"ר עידו בסיק (עורך): גדיש, כך ט"ו – הערבים בישראל מול העברית: דרכי הסתגלות והתמודדות. הוצאת משרד החינוך, האגף לחינוך מבוגרים, עמ' 102 – 115.
שתיי, ע'. "אני שמח ועצוב, כמו רוטב סיני". מעריב, תרבות, 13 בדצמבר 2004, <http://rss.nrg.co.il/online/5/ART/836/701.html>

ס': 10, עמ' 37 – 41.
"אנטון שמאס 1950". מתוך האתר של לקסיקון הספרות העברית החדשה. עורך אחראי: יוסף גלרין-גולדשלגר, 2015: <http://library.osu.edu/projects/hebrew-lexicon/00820.php>
חבר, ח'. (2013) "השיח החדש בישראל: עשרים וחמש שנה להופעת 'ערבסקות'". תיאוריה וביקורת, גליון (41), קיץ 2013, עמ' 299 – 310.
ליבנה, נ'. "הערבי הנווד". הארץ, כללי, 05 בינואר 2004, <http://www.haaretz.co.il/misc/1.937524>
מיכאל, ס'. (1985) "המעבר משפה לשפה". עתון 77, ירחון לספרות ותרבות (66-67), עמ' 50-51.
סבן, א'. (2000) המעמד המשפטי של המיעוטים במדינות דימוקרטיות שסועות: המיעוט הערבי בישראל והמיעוט דובר צרפתית בקנדה. חיבור לשם קבלת תואר דוקטור במשפטים. האוניברסיטה העברית בירושלים.

Arabs of 48 and their Writers who Write in Hebrew: Anton Shammass and Sayed Kashu' and their Contribution to the Contemporary Hebrew Literature

*Mahmoud Sanad Amarat, Yahia Matalqah **

ABSTRACT

The literary works in Israel are written by different authors of different generations, cultural, geographical and ideological references. These works provide a vision by which the Israel scene the author visualizes can be read in details. These works affect those authors. There are Palestinian Arab authors who stayed in their country during the Nakbah of 1948 (Day of the Catastrophe). After the establishment of Israel state, they became citizens. However, they kept their national loyalty to Palestine. The difficult circumstances they lived during the Israel occupation pushed them to learn Hebrew, to master it, and to study the Jewish culture. In addition, these circumstances urged some of the authors and poets to write their works in Hebrew, and they addressed Jewish by Hebrew in an attempt to express the suffering of the Arabs of 48 in Israel. This study aims to define Arabs of 48 and their cultural and linguistic reality. It also aims to answer questions such as: What are the reasons behind writing in Hebrew? Who are the most prominent authors? What are the popular works they wrote in Hebrew? To what extent, do Israelis or Arabs accept these works? This study also sheds light on the curriculum vitae of two popular authors: Anton Shammass and Sayed Kashu'.

Keywords: Contemporary Hebrew Literature, Arabs of 48, Writers; Shammass; Kashu'.

* Department of Semitic and Oriental Languages, Yarmouk University, Irbid, Jordan; and Jordan News Agency (PETRA), Jordan. Received on 25/8/2015 and Accepted for Publication on 17/9/2015.